

د. مأمون طربيه

في بيت أبي... ضُربت

قراءة إجتماعية
في ظاهرة العنف على الأطفال



”في بيت أبي ... ضُربت“

قراءة اجتماعية في ظاهرة العنف على الاطفال

”في بيت أبي ... ضُربت“

قراءة اجتماعية
في
ظاهرة العنف على الاطفال

د.مامون طربيه



دار النهضة العربية

رقم الكتاب	:1399
اسم الكتاب	:في بيت ابي.. ضربت/قراءة اجتماعية في ظاهرة العنف على الأطفال
المؤلف	:د. مأمون طربيه
الموضوع	:علم اجتماع
رقم الطبعة	:الأولى
سنة الطبع	:2013م. 1434هـ
القياس	:14 × 20
عدد الصفحات	:208

منشورات : دار النهضة العربية

بيروت ـ لبنان

بيروت ـ شارع الجامعة العربية ـ مقابل كلية طب الاسنان
بناية اسكندراني رقم 3 ـ الطابق الأرضي والاول

تلفون : 854161 ـ 1 ـ 961 +
فاكس : 833270 ـ 1 ـ 961 +
ص ب : 0749 ـ 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 ـ لبنان
بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com

ISBN 978-614-402- 792-9

الفهرس

مقدمة

مع تزايد العنف حجماً ونوعاً وأسلوباً، بمعدلات عالية فى شتى أنحاء العالم، حتى أخذ طابعاً وبائياً ينتشر بشكل خطر فى المجتمع المعاصر وفقاً للتقديرات الإحصائية التى تسجلها بعض المجتمعات، مما يمكن وصفه على أنه «وباء العنف» (The epidemic of violence) كما تصفه "الرابطة الأمريكية للطب النفسي"....

ومع اتضاح هذه الصورة الوبائية من حجم أدبيات البحث فى العنف ضد الأطفال فى الفترة من عام 1991 إلى عام 2002 والتي تقدر بحوالي 1.218 دراسة وبحثاً، متضمنة موضوعات وقضايا شتى منها التعرض للعنف، وقياس وتقويم التعرض للعنف، والعنف المجتمعي

والمدارس والعنف، وسلوكيات المراهقين والعنف.

ومع خطورة ما اخذت تكشفه ـ وعلى المستوى الدولى ـ تقارير الأمم المتحدة عن أن ما يقرب من مليوني طفل حتى سن الرابعة عشرة يعانون كل عام بسبب ما يتعرضون له من أفعال وممارسات العنف الوالدي، وأن نسبة من هؤلاء الأطفال تقدر بمعدل طفل من كل عشرة أطفال يموتون بسبب العنف الوالدي.

اصبح من الاهمية بمكان وضع رؤية واضحة وتقديم أجندة متكاملة للمنظمات والمؤسسات الحكومية والعالمية للحد من مآثر هذه الظاهرة في مجتمعنا العربي على أن تتوزع برامج التوعية وفق نشاطات مترابطة, ومتتابعة عبر اجهزة الاعلام سواءً كانت مكتوبة أو مرئية لمعرفة سبل مواجهة الاساءة على أنواعها ومساندة أي شخص يتعرض لها.

انطلاقا من هذه التصورات تأتي محاولتنا العلمية هذه في الإشارة إلى أبعاد وخطورة هذه الظاهرة وكيفية تعميمها كمحاولة للحد من مخاطرها على مستقبل أبناءنا.. لأن الأطفال في الواقع بناة المستقبل، فلكي نبني وطناً رائداً متقدماً اذن يجب ان نبني أطفالا أصحاء بعيدين عن ما يُخفيهم ، يهددهم، يوترهم.......... فوطن متقدم يعني أبناء أصحاء.

د.مامون طربيه

بيروت : 15 /6/ 2013

اولا: المدخل النظري

ارتبط مفهوم العنف بكثير من المفاهيم الاخرى لهذا يعتبر من اكثرها غموضاً حيث تارة يعرف على إنه الإيذاء أو الإساءة وتارة أخرى الإهمال وطوراً آخر الاعتداء والتحرش او السلوك الانحرافي والجريمة؛ الا ان المصطلح الشائع عنه (violence) هو اي فعل يحدث من خلاله ممارسة القوة او السيطرة او التحكم لتحقيق غاية أو وسيلة تفريغ احاسيس مكبوته أو لغاية تغيير إجتماعي أو لعلّة نفسية في الشخص المعنف. أو لإحداث صورة من الصور التالية :

- ✓ التهديد: زرع الخوف في نفوس الآخرين من خلال الضغط على آرائهم وتخويفهم بأن هناك ضررا سيلحق بهم

- الترويع: ويقصد به اعلى درجات الخوف الذي يمكن ان يؤدي الى الحد من العلاقات الايجابية
- العدوان وهو سلوك يقصد من خلاله احداث الضرر المادي والمعنوي على شخص معين وممتلكاته

وبناء عليه يمكن تحديد العنف على الاطفال بإنه كل سلوك سلبي، مقصود او غير مقصود، من شأنه ان يعدم او يقلص فرص تمتع الطفل بأي حق من حقوقه المشروعة (كقولنا بأن حرمانه من الرعاية عنف/ إنعدام حقه في التغذية السليمة ..عنف/ حرمانه من حقه في التعليم والرعاية الصحية والبيئة النظيفة ..وما الى ذلك هو عنف.) حيث يعتبر الحرمان من اي حق او الانتقاص منه هو فعل عنف سواءً بطريق الفعل والامتناع أو سواءً حدث ذلك عن نية او سوء نية، او نتيجة لاهمال الملزمين بضمان ذلك الحق وحمايته.

بدأ الحديث تاريخياً عن الاطفال المعنفّين منذ منتصف

القرن التاسع عشر في اوروبا عندما أخذ رواد الفكر التنويري يولون أهتماما بقضايا المجتمع وانسانه، فتغيّرت النظرة إلى الاطفال وزاد الوعي بحقوق هذه الشريحة من فئات المجتمع.حتى فترة الستينات من القرن الماضي كان العنف ضد الاطفال يوجز بحالة الايذاء المباشر او القتل ولكن في فترة السبعينات والثمانينات توّسع الاهتمام حول ماهية العنف الموجه للاطفال ليشمل الاعتداء الجنسي سواءً كان في المنزل أو خارجه وتباعا في عقد التسعينات اصبح يطال جميع الأطفال بمختلف اماكن تواجدهم من المؤسسات الاسرية الى الرعائية فالايوائية والتعليمية وكافة البيئات التي يتواجد بها الطفل.

على ما تقدم من المسار التاريخي نلاحظ أن الاهتمام كان يتوجه عملياً إلى أربع مجالات:

1. العنف الجسدي (الإيذاء المباشر)
2. العنف العاطفي (الحرمان)

3. العنف الجنسي (التحرش)

4. العنف النفسي (الاساءة والتجريح)

ألا أن بعض الباحثين أعتبروا عامل «الرفض» هو المرتكز الأساس الذي ينطلق منه أيّ عنف، إذ بمجرد أن يرفض أحدهم طفلاً يعنيه أو يتولى أمره، فهناك احتمال بأن يباشره بالعنف الرمزي (الكلامي والعاطفي) أولاً فالعنف الجسدي تالياً فالعنف الجنسي تباعاً، وهذا ما جعل من متابعين لشؤون الاسرة التركيز على مسائل الرفض بأعتباره عاملاً خطيراً قبل الحديث عن العنف بمختلف أنواعه، ذلك أن العنف هو نتيجة لسبب وبرأيهم الرفض هو السبب الذي يستتبع عنفاً.

*** العنف المنزلي:**

يمكن تعريف العنف المنزلي على أنه الإيذاء الجسدي المباشر الذي يمارسه أحد أفراد الأسرة على أفراد آخرين

فيها، وكشفت دراسات عديدة على إنه يستهدف بدرجة أولى وفي أغلب الأحوال «الاطفال» خاصة أؤلئك الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات، ويمثل العنف الذي يمارسه الأزواج على زوجاتهم النوع الثاني الأكثر شيوعاً، كما إن النساء قد يمارسن العنف الجسدي في أسرهنّ سواء تجاه الأطفال أو الزوج، ويرى بعض خبراء شؤون الاسرة أن البيت في المجتمعات الغربية (ولا نغالي إذا قلنا أيضاً الشرقية/العربية) قد أصبح من أكثر الأماكن خطراً بعدما تبين من البيانات الإحصائية أن الإنسان الفرد مهما كان عمره وجنسه يكون أكثر عرضة لمخاطر الإيذاء الجسدي في البيت أكثر منه في الطرقات والشوارع والمواقع الاخرى، كان العنف المنزلي شأنه شأن ايذاء الاطفال يتعرض للتعتيم والتجاهل قبل ذلك الوقت إلا أن بعض الدراسات النسوية المتخصصة كشفت عن انتشار ممارسة العنف ضد المرأة

وحدّته واتساعه في البيوت وتزايدت حالات إبلاغ الشرطة عن الحوادث التي يرتكبها الأزواج ضد زوجاتهم. وقد أخذ بعض المحللين يقولون بأن أسباب العنف في الأسرة لا تعود الى طبيعة البنية الأبوية المتسلطة أو الهيمنة الذكورية بل الى خلل وعطب في بنية العائلة. والعنف ضد النساء بحد ذاته كظاهرة إنما يدل على تفاقم الأزمة داخل البيت وعلى تآكل المقاييس والمعايير الاخلاقية، ويبقى السؤال طارحا نفسه ترى ما هي اسباب شيوع العنف الاسري؟ يمكن في هذا السياق ان نتحدث عن تضافر عدة عوامل ومن بينها :

- ✓ الحدة العاطفية ضمن العائلة، بمعنى ان الصلات العائلية تكون في العادة مشحونة بالعواطف التي تجمع بين الحب والكراهية أذ قد تؤدي المشاجرات التي تدب في الأسرة الى نشوب مشاعر العداء التي قد لا تظهر علنا للعيان في سياقات إجتماعية أخرى. وأذ قد تفضي

تعليقات بسيطة تافهة احيانا الى مشاحنة حامية بين الزوجين أو بين الأب وابنه

- ✓ القدر الكبير في التساهل والتسامح تجاه حالات العنف، ذلك ان كثير من الثقافات الشعبية ومنظومات القيم السائدة في مجتمعات تقليدية تبرر ممارسات تعنيف اقل ما يقال فيها بأنها اساليب تربية وتهذيب. وتشير أوضاع كثيرة إلى هناك آباء وامهات يعتبرن ويعتقدن انه من المشروع والمقبول ان يقمن بضرب اولادهم لغاية أصلاحهم .
- ✓ ضغوط الواقع الاقتصادي المتردي على رب الاسرة بصورة دراماتيكية نظرا لظروف بطالته وعدم امكانياته على تلبية احتياجاتها، لتتفجر تراكمات الازمة التي يعيش في صورة انفعالات حادة من الغضب والحدة والضرب كرد فعل قهري.

إن الأسرة من حيث هي منظومة علاقات قرابية بين الزوج والزوجة وألاباء والأمهات والأولاد والاشقاء والشقيقيات أو بين الأقارب عموماً، قد توفر الإكتفاء والرضى وتلبي كثير من الاحتياجات البشرية غير انها قد تحتوي في الوقت نفسه على كثير من التوترات والمشاحنات التي تدفع بأبنائها إلى اليأس والإحباط أو مشاعر القلق والسخط والذنب. وهكذا على الرغم من الصور الوردية التي تعرضها الأفلام والإعلانات عن الأسر المستقرة الهائنة، ثمة صوراً أخرى غير محببة في حياة غالبية العائلات بمختلف المجتمعات وان بدرجات متفاوتة وليس أقلها ظواهر العنف المنزلي وإيذاء الاطفال الذين يظلان من العناصر البارزة عند الحديث عن الايذاء داخل العائلة.

إزاء هذا الواقع نشطت في السنوات الاخيرة التوعية على أبعاد العنف ولا سيما تجاه الاطفال الذين يعتبرون "ضحايا في الخفاء" ذلك انه ثمة علاقة ارتباطية بين واقع العنف وخطورته

على حياة الاطفال حاضراً ومستقبلاً، وذهبت بعض الابحاث بعيدا لتؤكد علاقة العنف المنزلي على الاطفال واعتباره بمثابة تأتير مدمر فعلي للشخصية (devastating effects). ففي دراسة بريطانية استندت معطياتها الاستطلاعية على عينة من مئة سيدة ممن يعتنين بأطفال معنفين ان [1]:

- ان ثلاثة ارباع الامهات اقررن بأن أطفالهن شاهدن حوادث عنف بالمنزل
- وان (76 %) من هؤلاء الاطفال شاهدوا امهاتهم وهن يتعرضن للضرب من ابائهم
- وان (10 %) من الامهات اكرهن على الممارسة الجنسية امام اطفالهن.

ويعتقد معظم هؤلاء الامهات ايضا بأن اولادهن الذين يتأثرون فعلياً بمشاهد العنف تظهر عليهم تأثيرات مرضية سواء كان ذلك آنيا أو لآحقاً وتتضمن هذه التأثيرات العوارض التالية:

1) تبول ليلي bed- witting

2) ظواهر انسحابيةbecoming withdrawn

3) اقل ثقة بالذات low self- esteem

4) عدوانيين aggression towards others

5) مشاكل شغب في الدراسة problems at school

6) مشكلة ثقة مع مقربينproblem intrusting people

ثانيا : مفاهيم وتعريفات

لنتبين دلالات ومحتوى التعابيرالمستخدمة عند تعريف ظاهرة العنف على الاطفال، يفترض بنا ان نجري نوعا من الضبط المنهجي للمصطلحات والمفاهيم، حيث يتحدث بعض الباحثين عن مفهوم جديد وهو: «الأوضاع المسيئة للاطفال» بأعتباره اكثر شمولية من تحديده بالعنف؛ وعملاً برؤية منهجية تحدد التعريف انطلاقا من قولنا: الاطفال في اوضاع كذا وليس الاطفال كذا... وبناء على هذا المفهوم الجديد يصبح لدينا اطرا واسعة من اوضاع سيئة يعاني فيهاالاطفال حالات صعبة من تعنيف واساءة وتمييز واهمال:

1) ما هي الأوضاع المسيئة للأطفال:

وفقاً لما تقدم يصبح تحديدنا لأوضاع الاطفال السيئة في أربعة

أوجه هي[2]:

1) اوضاع العنف ضد الاطفال، العنف هو الاستخدام القاصد – تهديدا او فعلا- للطاقة البدنية ضد شخص آخر او ضد مجموعة من الناس وهو الوضع الذي ينتج عنه او يكون هناك احتمال كبير ان يترتب عليه أذى قاس او تعويق في النمو او حرمان كلي او موت.. ان استخدام مفهوم القوة بالاضافة الى الطاقة البدنية يوسع مفهوم العنف ليشمل الاعمال الناتجة عن علاقات القوى المتفاوتة بحيث يكون احدهم متسلّط وآخر ضحية.. وهكذا يندرج وفق هذا التوضيح المفاهيمي كل اشكال الاساءة البدنية والنفسية والجنسية وتتمثل نواتجه في الصور التالية:

- ✓ العنف الجنوسي اوالعنف المبني على الجندرة
- ✓ العنف في المدارس
- ✓ العنف في اوضاع الاندارج في عصابات

الصحبة العنيفة

- ✓ الاطفال في اوضاع اعمال طقوس السحر والشعوذة
- ✓ اوضاع قتل الاناث لحماية الشرف

2) اوضاع الاستغلال ضد الاطفال: الاستغلال هو الاستخدام غير الاخلاقي لأغراض ذاتية او للربح او الكسب ويمكن ان يكون الاستغلال لأغراض الجنس التجاري وغير التجاري ولأغراض العمل الرخيص ومن الاشكال الاكثر تحققا لاستغلال الاطفال

- ✓ الاطفال في اوضاع الاتجار بالاشخاص
- ✓ الاطفال في اوضاع العمالة المستغلة والخطرة
- ✓ الاطفال في اوضاع الاسترقاق
- ✓ الاطفال في اوضاع الزواج المبكر

3) اوضاع التمييز ضد الاطفال: يشير تعبير التمييز الى كل عزل او حد او تفضيل بحيث يكون مبنيا على اي من الاسس التالية مثل: العرق / اللون/ النوع/ اللغة/ الدين او الرأي السياسي او الاصل القومي او الطبقية مما يؤثر ذلك على ألغاء أو تعطيب الأعتراف او منع التمتع بكل الحقوق والحريات. وبترجمة هذا التعريف بالنسبة لأوضاع الاطفال نجد ضحايا التمييز في:

- عيش الطفل في اوضاع حامل فيروس الايدز
- الانتماء الى اقلية اجتماعية
- اذا كان غير مواطن (نازح/ لاجئ/ مهجر..)
- العيش في الفقر المدقع
- إذا كان مولوداً خارج إطار زواج شرعي
- اذا كان يعيش مع احد الوالدين دون الاخر
- اذا كان مولودا من زيجة مختلطة الهوية والبلد

والدين والعرق

- اذا كان ضحية انعدام أوراق ثبوتية لأصله او اهمال لتسجيل. عند الميلاد

4) اوضاع الاساءة ضد الاطفال : تحدث الاساءة عندما يكون الطفل مهملا او لا يتمتع بالرعاية الكافية وهي تحدث بالأسرة او في سياق المؤسسة المعنية بتنشئته من قبل اشخاص معروفين، وهنالك أنواعا متعددة من الاساءة ولكن ابرزها :

- الاساءة العاطفية : وتتمثل في الحرمان من الحميمية/ الرفض/ الاهمال / اللامبالاة /
- الاساءة النفسية: وتتمثل في التحبيط/ الترهيب/ الاذلال/ التخويف..
- الاساءة اللفظية: وتبرز من خلال السخرية/

- النقد اللاذع/ الشتم/ التحقير ...
- الاساءة الجنسية: وتتمثل في إرغام الطفل على المشاركة في أفعال محظورة أخلاقياً مثل اللمس البدني/ مشاهدة الافلام الخلاعية/ تشجيعهم على التلفظ بكلمات بذيئة ذات إيحاء جنسي / ..

كما هو ملاحظ تتلخص أوضاع العنف على الأطفال في اربعة محاور: العنف، التمييز، الاستغلال، الاساءة، وهذه الاوضاع ليست منفصلة بعضها عن بعض بل هي متداخلة بدرجة كبيرة ويكون التعامل معها كأوضاع قائمة بذاتها وما تصنيفها إلا من قبيل الضبط المنهجي لأن كل شكل من اشكال تحقق وضع معين ينطوي على خصوصية جوهرية تتعلق بالوضع الذي تدور فيه وسبل الحماية المطلوبة بهذا الوضع. مما يعني ذلك أن معايير تقييم وتقدير الضرر المقدر (أيا كان

شكله من الأوضاع الأربعة) ينطوي على الدرجة، الفترة الزمنية، والتواتر عن مجال الحالة، كتساؤلنا مثلاً: هل يتعذب الطفل حالياً؟ هل يمكن ان يتعذب من جراء هذه الإساءة أو الضرر وكيف؟ حيث يتم هنا النظر في انحراف الصحة وأثر السلوك وسوء المعاملة. عليه تعتبر سوء المعاملة من أبرز التسميات التي تطرح عند الحديث عن العنف ضد الاطفال.. فما المقصود به؟

2) ماذا يعني سوء معاملة الاطفال؟

يعتبر بعض الدارسين الغربيين بأن تعبير «سوء معاملة» (child maltreatment) هو أكثر شمولية في الدلالة عن ما يتعرض له الاطفال فهو قد يتضمن العنف (بمعنى الإيذاء) والرفض (بمعنى الإهمال والحرمان) والإساءة (بمعنى التجريح والتحقير)، كذلك أشارت منظمات حكومية عديدة إلى تعابير عديدة وغنية تحدد معنى سوء المعاملة ومنها ما عرفته منظمة حماية الأطفال من

العنف وسوء المعاملة الامريكية (1974) بأن سوء المعاملة هو:

”أي إيذاء جسدي أو عقلي أو جنسي أو إهمال أو تقصير رعائي تجاه من هم دون الثامنة عشر عاماً، من قبل والديهم أولاً، بأعتبارهم المعنيين برعاية الأطفال وتأمين حوائجهم الصحية والمسؤولين عن حمايتهم من أي أذى“

إزاء ذلك تفاوتت وجهات النظر حول المعنى المقصود من الأذى هل يندرج ضمن القصاص والتأديب؟ ذلك أن العنف بالنسبة لبعضهم هو فعل تكليف (abuse is an act of commission) بينما يرى آخرون ان الاهمال والاغفال هو بمثابة اسقاط (neglect is an act of omission) مثل هذا الجدل حول المعنى المقصود طرح أكثر من إشكالية: متى يختلف العنف واقعياً عن الاهمال؟ وكيف يمكن التدليل على كلاهما اذا كانا يتمايزان؟ واذا كانا يترادفان فالى ما يرميان بالتعبير والدلالة؟

اذا قيّض لنا ان نعتبر بأن كلا الفعلين – التعبيرين (العنف + الاهمال) يؤديان الى نتيجة واحدة وهي الألم والايذاء مما يلزم حينها أتخاذ اجراءات اجتماعية، فعندها يمكن القول بأن الاول هو الاساس عند الحديث عن "ظلم لآحق" بالاطفال. فالمسألة متعلقة بواقع البيئة المعاشة (الوسط الاجتماعي) فأطفال العائلات الفقيرة "محرومون" وقد لا يتسنّى للوالد ان يؤمن لهم مثلا كامل احتياجاتهم الخاصة، فهل يعني ذلك انه يعنفّهم؟ لا يمكن بالطبع التأكيد على ذلك لأن الظروف المعيشية الضاغطة على أولياء هذه الاسر وعدم تمكنّهم من القيام بما يتطلب منهم تحول دون رعايتهم بشكل جيد. مما يعني أن الاهمال للاولاد ليس مقصودا بذاته من قبل الراعي – المسؤول بقدر ان المسألة اكبر منه! لهذا يصعب القول في تحديد مظاهر الاهمال المقصود عن تلك غير المقصودة وتحديد الاثار المترتبة على كل منها، لأن كل ذلك مرتبط بعامل "الدافعية" التي من الصعب معرفة

ابعادها فعليا كقولنا مثلا:

- هل في استطاعة طفل في الثانية عشر من العمر ان يكون في آمان لنصف ساعة او لثلاث ساعة او ليوم كامل او طوال الليل في المنزل او خارجه؟
- هل من المقبول ان يُصفع طفلا على وجهه بالكف او بالحزام او بأشياء اخرى..لانه ارتكب خطأً جسيما.. او نتجاهل فعله وحينها لا يعتبر ويتغير؟
- هل مشكلة العنف على الولد تنبع من الولد نفسه (يعاني قصور وحرمان فبات مشاغبا يتلقى التعنيف) او تعود الى سوء تأهيل ورعاية وتربية من المعنيين (حيث الاهمال والتقصير وحسن المعاملة معدومة)

تبقى المشكلة المفاهيمية بفصل العنف عن الاهمال والرفض

محض تمييزي ليس الا، وذلك لوجود حلقة تواصلية لظاهرة الايذاء بحد ذاتها على الاطفال فقد تبدأ من الاهانة والتجريح عبر كلمات التأنيب والتحقير (عنف رمزي) وتتطور لتأخذ شكل الايذاء الجسدي بالضرب والعزل والنبذ وصولا الى الموت أوقطع الاطراف (عنف جسدي مباشر). لكن بدوره هذا التوضيح اثار اشكالية اخرى عبر تساؤل مفاده: هل يمكن الاستنتاج بأن التأنيب الذي يفضي الى الايذاء والايذاء المباشرالذي يفضي الى وضع حد للحياة لما يكابده احدهم من قهر وعذاب مستمر هو نتيجة حتمية وسلبية لحالة الاهمال والرفض المتتابع؟ يبدو ان مفهوم الاهمال كأحد وجوه سوء المعاملة واسعا بطرحه، ولا يسهل تعريفه بمرادفات واضحة ودقيقة ذلك انه قد يتضمن معان عديدة فقد يشار اليه على انه :

أ) المعدل العام لمستوى معين من سهو الاهل واغفالهم عن ابنائهم،

ب) وقد يشار اليه ـ في معناه الضيق ـ الى كل

من يعتبر نفسه مهملا من جملة احتياجات محقة،

ج)كما قد يفهم منه ذاك السياق الذي اشار اليه بعض الباحثين عندما ربط الاهمال بالفترة الزمنية: لكم من الوقت يكون هذا الاهمال/ الحرمان واقعا؟ واي تصرفات تمارس خلال في هذه الفترة ليمكن على ضوئها تحديد مفهوم الحرمان وابعاده؟

(توضيح : الولد الذي يعود الى البيت دون ان يجد احد من والديه ليعتني به استثنائيا ليس اهمالا ولكن ذاك الذي يعود ولا يجد في كل مرة احد وبشكل دائم فهو الاهمال بعينه) فالتتابعية والفترة الزمنية how often is too often / how long is too long) لواقع الاهمال هي ما تحدد ابعاده ومعناه.

لكن التعريف الذي اتفق عليه مختلف مشرعي الدول المتقدمة للاهمال هو «ذلك الفشل المتعمد او المستمر (المتمادي) لتأمين

حوائج الطفل الجسدية والنفسية مما يؤدي الى أخلال في صحته ونموّه، وقد يشمل هذا الفشل:

1) تقصير الاهل في تأمين المأوى والطعام والثياب ,

2) عدم تأمين الحماية اللازمة لهم من الاعتداءات والخطر

3) عدم أسعافهم ومعالجتهم عندما تقضي الضرورة الصحية الدورية او الطارئة.»

نلاحظ في هذا التعريف تضمّنه عدة وجوه يجب تأمينها تجنبا لأي عنف قد يتعرض له الطفل، فهو أشار الى فشل مقصود ودائم، مما يعني ذلك أحتمال تعرض الاطفال إلى سبل تحول دون نموهم وأرتقائهم بشكل طبيعي وسليم نتيجة أذى أو أخلال أو تقصير من عدم تأمين الاحتياجات الاساسية والعناية الصحية المطلوبة وعدم حمايتهم من الأعتداء الجنسي أو الاستغلال أو خطر الشوارع لما قد يعرضهم ذلك لخلل نفسي أو وظيفي او

جسمي يكون كفيلا بتدمير شخصيتهم ومستقبلهم وحياتهم.

وهكذا عندما تطالعنا وسائل الاعلام والدراسات الاحصائية الواردة من مراجع اممية عن حالات العنف ضد الاطفال يصبح الامر مقلقا للغاية مما يستدعي معه النظر في الاطر والمفاهيم والاسباب التي تدور حول هذه الظاهرة وكيفية معالجتها على كافة الصعد. فعندما تشير مثلا احدى الاحصائيات بأن :

- ✓ هناك مليون طفل يتعرضون سنويا ويتأذون بشكل او بآخر
- ✓ هناك 150000 يتعرضون لمختلف الايذاءات الجسدية المباشرة
- ✓ هناك ما يقارب 100000 معرضون للاستغلال الجنسي
- ✓ هناك ما بين 350000 و400000 طفلا يعيشون في بيئات تفتقد للحميمية والدفء العائلي

- ✓ هناك 450000 طفلا لا يترددون على المدارس الا لنهار واحد في الاسبوع
- ✓ وبان هناك........... وهناك!!

ينبغى العمل فعليا على تعزيز إجراءات الوقاية، الا ان المسألة في حماية الاطفال لا تكون برفع الغبن عن هذه الشريحة من الناس بقدر ما ينبغي ان تتوسع سبل الحماية لتشمل من هم في بيئة الطفل: الأهل/ الأخوة/ ثقافة المجتمع/ دور التربية.. التي لازالت حتى وقت قريب تعتبر التعنيف أمر طبيعي ومطلوب بل وضروري لتقويم الاعوجاج في خُلق الطفل المتمرد او الشرس او المشاغب. مما يعني ان الطفل قد يكون الحلقة الاضعف وبحاجة الى حماية الا ان ذلك لا يجدي نفعا ان لم يعمد المعنيون الى معالجة جذرية لسائر اضلاع المثلث الباقية (الطفل- الاسرة- المجتمع)، حيث مع تعزيز مبادئ التسامح مع الاطفال وعدم التساهل مع المربين قد يخفف من حدة الظاهرة والا سيبقى

الواقع «كما هو عليه» ان لم يتم العمل مع كلاالطرفين ولنأخذ مثالا على ذلك:

لو أفترضنا ان مجموعة من الناس تعتقد بأن العقاب الجسدي هو أمر خاطئ وقد يؤثر على سلامة الاولاد النفسية او العاطفية لآحقا في مسار حياتهم، وفي المقابل لآحظنا ان هناك فئات كثيرة من الناس لازالت مقتنعة بجدوى الضرب وتستخدمه كعقاب جسدي لضبط اولادهم عن الانحراف. هنا نجد انفسنا امام وجهتي نظر: فبعضهم قد يعتبر بأن ما قام به الاهل من معاقبة (التأديب/ القصاص) على تصرف سيئ من الاولاد هو عنف، وفريق آخر وهم الاهل يروون عكس ذلك. مما يجعلنا امام اشكالية نظرية تربوية عن الفرق بين تعنيف الاطفال كظاهرة بحد ذاتها وعن مسؤولية التأديب من قبل الاهل كحالة تعزيز للانضباطية. ازاء هذه الجدلية قدم باحث اوروبي يدعى BESHAROV خطوطا عاما حدد بموجبها

متى يكون العقاب مبررا [3]:

1. هل الهدف من العقاب ضبط الاولاد ام انه لغاية التوجيه والتأديب ؟
2. هل يحدث كأسلوب لمسؤولية تربوية من قبل الاهل ام يحدث لأن الاهل يفقدون أعصابهم وسيطرتهم فيكون الاولاد بمثابة كبش محرقة؟
3. هل الاطفال في مرحلة ادراكية ليعرفوا ان ما اقدموا عليه خطأ وعوقب عليه، فيتعلّموا ويدركوا الصح من الخطأ ام لا ؟ (الاطفال الصغار جدا والمعوقين ذهنيا لا يدركون ذلك..)
4. هل فعلا العقاب يكون فقط عندما يحدث سوء تصرف من الاطفال وهل تتم اثابتهم عندما يفعلون امرا جيدا ؟
5. هل اعطى العقاب نتيجته التربوية فحال دون الوقوع بالخطأ ثانية ام زاد من الامر حدة؟

6. هل مقدار العقوبة مواز لمقدار الذنب المرتكب ؟

7. هل وسيلة التأديب متناسبة وغير مؤذية جدا .؟

للنقاش:

- فكر عندما تشاهد الان أمّاً تقوم بضرب ابنها بهدف التأديب في مكان عام، هل برأيك يتم ذلك وفق اقتراحات BESHAROV ؟ ما هو المرفوض وما هو الممكن هل تتدخل وتسألها لماذا تعنف ابنها ؟ ابد رأيك ، ناقش وحلل

ثالثا: الأسباب المؤدية الى العنف

إزاء التعريفات المقدمة عن العنف وأنواعه يتبادر الى الذهن سؤال محوري: لماذا يحدث العنف؟ ما الذي يدفع انسان ليتصرف بشكل مسيء ومؤذٍ تجاه شريحة مستضعفة (الاطفال/ النساء/ المعوقين/ العجائز..) وهل يمكن تبرير العنف مهما كانت غايته؟ وبالتالي لماذا يعتبره البعض مقبولاً والبعض الاخر يرفضه أيّاً كانت ذرائعه؟ مثل هذه التساؤلات دفعتنا للبحث عن الأسباب المؤدية الى ظواهر العنف. وفي هذا السياق جهدت نظريات سوسيولوجية وسيكولوجية عديدة في تقديم الإجابة ومنها:

1) النظرية العلائقية:

يُرجع اصحاب هذه النظرية امثال HELFER & KEMPE

1978) إلى أهمية العلاقة ونوعيتها بين الام والطفل لتفسير ظاهرة العنف الممارس على الاطفال مرتكزين في ذلك على نتائج ابحاث الباحث التربوي جان بولبي (1933) الذي أشار بدوره الى وجود عملية علائقية بين خبرات الام السيئة في ماضيها وما تقوم بها لاحقا من تصرفات غير محببة أو موزونة. ويعتبر بولبي في منظوره الوظيفي للتربية أن دور الأم هو المحور الأساس لتنشئة الاطفال الاجتماعية فإذا ما غابت الام او أنفصل عنها ابنها في مرحلة مبكرة من عمرها تنشأ حالة حرمان من الأمومة يكون من نتائجها ان يتعرض الطفل للخطر بسبب التنشئة الاجتماعية القاصرة (وربما يصبح الطفل منحرفاً في مراحل عمره اللاحقة نظرا لانعدام الرقيب وافتقاده الحرمان..) ويرى بولبي إنه يمكن ضمان راحة الطفل وعافيته النفسية من خلال إقامة علاقات حميمية وشخصية دائمة، ويمكن تفسير هذه

النظرية وفق المعادلة التالية :

* رعاية سليمة + توازن عاطفي/ علاقة حميمية = اطفال سعداء

* تنشئة اجتماعية قاصرة + حرمان من الامومة + علاقة متوترة بين أم وطفل = انحراف

وعلى ذلك رأى KEMPE بأن الأمهات اللواتي يعنفن أطفالهن يمكن تفسيره بأبعاد نفسية تتعلق بماضي الام الذي قد يكون سيئاً بذكرياته ولحظاته، فالمعاينات الميدانية تظهر أن الام التي مرت بحالات قهر وعنف، ينعكس ذلك بدروه على شخصيتها فيجعلها غير قادرة على تكوين علاقة حميمية موزونة مع أبنائها. حيث من المفترض ان يتشبّع أيّ منا في طفولته بسائر الاحتياجات العاطفية والنمائية وعندما لا يحصل ذلك يحدث نوعاً من "الانتقاص" يرافق

مراحل الحياة اللاحقة فتتجلى نتائجه بردود فعل عنفية تجاه الاخرين بين الحين والحين.. لهذا يعتبر اخصائيو الخدمة الاجتماعية أهمية معالجة اية ظاهرة عنف أو توتر أسري إنطلاقاً من الأهل وتحديداً الام عبر تعزيز مفاهيم الامومة الجيدة وبأعادة تصحيح علاقتها مع أبنائها. وفيما بقيت الام على حالها دونما تدخل نفسي أو علاجي أو تعديل وتهذيب كثير من تصرفاتها المتوترة وأفكارها السلبية فأحتمال العنف على أطفالها يبقى وارداً..

2) النظرية التعليمية:

هل يمكن ان يكون العنف كنتيجة للجهل والأميّة؟ يتوقف بعض الدارسين عند أنعدام الخبرات التربوية الصحيحة لتنشئة الابناء من والديهم. هذا يعني أن أزمة المستوى التعليم المتدني او المفقود قد يترك آثاره السيئة على

علاقة الأهل بأبنائهم. فالأهل الذين أُسيئت معاملاتهم وهم صغارا ولم تُحسن تربيتهم وأنقطعوا عن التردد إلى الدراسة ومتابعة التعلم بشكل افضل مقارنة مع أولاد آخرين لم يعانوا ايّاً من سوء المعاملة، تتبدى آثاره عبر تأخر في التحصيل العلمي والمعرفي ومن شأن ذلك أن يترك بالطبع تأثيراً على نشوء أسرة غير مستقرة، لهذا تشدد النظرية التعليمية على مسألة الحد من الإساءة على الأطفال فيما لو أردنا ان ينشأ الطفل معافيا من أي مزايا قهرية. ولعل مسألة الحد هذه تتطلب جملة إجراءات اصطلح على تسميتها بـ: behavior – modification techniques وتقضي بإعادة توعية الاهل على مقومات الوالدية الحقة وتدريب المعلمين على بذل وتقديم أساليب تربوية جديدة.

إلى جانب ما تقدم قد يؤدي حرمان الطفل من التعلم إلى

إشاعة مفاهيم العنف بصورة أو بأخرى، فنصبح أمام «ظاهرة الأطفال غير المتعلمون» حيث تدمير شبكة التعليم في أي دولة يمثل من أكبر النكسات الإنمائية المتضررة من النزاعات المسلحة وبسبب هذه النزاعات قد تتعرض المدارس للقصف والنهب والإغلاق ويحول دون وصول الأولاد إلى المدارس أو تركهم لها في حال طالت أزمة الإقفال وهذا ما يجعل عدداً كبيراً من الأولاد يتركون الدراسة للالتحاق بالعصابات المسلحة ونصبح أمام ظاهرة «الأطفال الجنود» الذين يستخدمون كمحاربين أو مراسلين أو حمالين أو طباخين أو لتقديم خدمات جنسية.

3) نظرية الاختلال في الادوار العائلية

بناء على دراسات عديدة في علم اجتماع الاسرة وعلم النفس العائلي لآحظ أكثر من باحث واخصهم العالم

النفسي (MINUCHIN (1974 إن نمط الاسرة يقوم على نظام قوامه علاقات ثلاث: 1) الاهل ـ الاهل و2) الاهل ـ الاولاد و3) الاولاد ـ الاولاد. ويرى هذا الباحث بأن هناك عائلات يمكن ان تصبح "enmeshed" بمعنى أن الأدوار العائلية والتصرفات المتوقعة للأمومة وللأبوة وللطفولة يمكن ان تطمس وتتبدل او تذهب في غير مسارها، فينقطع الزوج عن الزوجة والأم عن الاولاد والاولاد يتنازعون فيما بينهم. وعندما تدخل الاسرة في صراع أدوار وأزمة علاقة بين افرادها نصبح هنا أمام أسرة غير مستقرة، ومع أختلال التوازن في العلاقات القائمة تظهر بوادر عنف من الاب تجاه الأم أو تجاه الاولاد وعندئذ تعيش الاسرة في أطوار العنف المنزلي نتيجة لأفتقادها الانسجام وشيوع الخلافات المستمرة، وقد تمتد آثار التوتر السائد إلى المدرسة والجيرة والحي واماكن العمل. حيث سيظهر على

أفراد الأسرة المفككة مظاهر الاضطراب النفسي والتشتت الذهني، وغالباً ما يُلاحظ هذا الانعكاس المزعج على:

- ✓ أطفال الأهل المنفصلين وأثناء مراحل الطلاق بين الأب والام
- ✓ أو عند إقدام الاب على خطوة زواج ثان،
- ✓ كما تتجلى الاختلالات النفسية والذهنية في حالات إبعاد الأولاد عن الأهل الذين لا يحسنون تربيتهم
- ✓ أو لأن مناخ الأسرة يشوبه الكثير من الإنحرافات يقوم بها الأب او الام لجهة الادمان،

فيُرسل الابناء الى مركز أيواء بعيدا عن الاهل لتعتمل في داخل الطفل عندها مشاعر عداء تجاه ذاته (لانه لم يعد كالاولاد الاخرين في الاسر المستقرة) وتجاه والديه

حيث سيكنّ لهم مشاعر حقد وعدائية كونهم السبب

في ذلك وهو يدفع الثمن بدلا عنهم. وفق ما يصطلح على تسميته سيكولوجيا ”scapegoating“ (كبش فداء) ومفاده ان احد افراد الاسرة غالبا ما يكون ضحية موقف أو ”فشة خلق“ لتصرف ليس له فيه، وغالبا ما يكون دفع الثمن عبر ايذاء جسدي مباشر أو عنف كلامي وعاطفي. والملاحظ والمؤسف ان توجيه اللوم المنمط والجاهز دائماً نحو أحدهم (وهنا قد يكون الاطفال) يُبقي الاسرة في حالة نزاع دائم دون ان تتولى عناء البحث عن سبب صراعاتها في ظروف اخرى. لهذا لا ينظرالاخصائيون الاجتماعيون وعند مباشرة التدخل في وضعية كهذه إلى الطفل على إنه السبب المباشر للأزمة العاصفة في الاسرة بقدر ما يتوسعون نحو الافراد الاخرين حيث يمكن للمشكلة ان تكون في مكان آخر والمسبب الحتمي لما تمر به من خلافات قد لا يكون للطفل علاقة بها...

4) النظرية النسوية

بناءً على مسألة التفاوت الجنوسي بين الرجل والمرأة واللامساواة الاجتماعية القائمة، أرجع رواد هذه النظرية ظاهرة التعنيف الحاصلة إلى التمييز الجنسي والثقافة البطريركية السائدة، وفي هذا السياق تميز عالمة الاجتماع سيلفيا وولبي البطريركية في نوعين :

أ)لبطريركية الخاصة: حيث تكون السيطرة على النساء في الاسرة بيد الرجل وفيها تكمن نزعة أقصائية تتمثل في الحيلولة دون مشاركة المرأة في الحياة العامة خارج منزلها.

ب)البطريركية العامة: وهي جماعية في طابعها اذ تنخرط النساء في المجال العام والعمل والسياسة والمجتمع المدني والاهلي لكن تبقى ثمة حدودا تفصلها عن النفوذ والارتقاء والقوة والسلطة الفعلية..

كذلك اشارت كل من سارة ويلوث وكريستين كريف (1996) الى «أزمة الذكورة» حيث ثمة رجال يعانون البطالة ومع تعطل احدهم الطويل عن العمل المنتج يؤدي ذلك الى تقويض هذا المثال الاعلى له كرب اسرة، فتتهافت صورته وتضعف مكانته لدى عائلته وأصدقائه. ومثل هذا الوضع لا يؤدي فقط إلى إنهيار سلطوي من قبل المتعطلين عن العمل على النساء وإنما يدفع بعضهم الى القيام بأعمال عنف نتيجة التأزم النفسي الذي يعيشونه وهذا ما يعرف بالعنف الذكوري الذي تتبدى ملامحه في انماط سلوكية منسقة من الاذى تجاه الاطفال [4] انتهاء بالممارسة الجنسية العنيفة مع الزوجة.

*حالة الطفل بلال:

يعمل ابو بلال بنّاء وزوجته خياطة في البيت، ويحدث دائما الشجار بينهما حول مسألة المصاريف وعدم تكّفل الزوج كلية بحاجات المنزل والاسرة، بل هو غالبا ما يصرف نصف الاجر الشهري في تناول الخمور والتدخين وزيارة الملاهي ..فأب بلال غير عنيف لكنه مهمل لواجباته ومسؤولياته في الاسرة كما انه يرجع الى البيت في ساعة متأخرة من الليل ولذلك فهو لا يرى اطفاله الا لبعض دقائق في اليوم. سئمت الزوجة من هذه الحالة المزرية وخاصة ان الابن الاكبر الذي يمر بفترة المراهقة اصبح عنيفا وعصبيا مع اخيه بلال. فغياب الاب يشجعه على الافراط في مراقبة اخيه واستصغاره في الشارع وتوبيخه امام مرأى ابناء الحي..ام بلال لا تكلم زوجها الا بأنفعال شديد اذ تُلقي عليه اللوم دوما بتعاسة الاسرة وحياتها الزوجية مما يحدو بها لأن تناديه بألقاب قبيحة فيكون رد فعله الخروج الى الشارع حيث يمضي معظم وقته بعيدا عن التشاحن.. ازاء ذلك اخذت شخصية بلال تتسم بالانسحابية وعدم النضج الانفعالي كما انه مهدد بالطرد من المدرسة نتيجة تحصيله المتدني ولما بات يُشكى منه في السرقة وضرب زملائه عندما يهددونه بالتشكي للمعلم.

5) النظرية الاجتماعية :

تحاول هذه النظرية أن تفسر تأثير الواقع الاجتماعي على

ظاهرة العنف حيث بيّن بعض الباحثين الامريكيين امثال CORBY(1989) وجود ثلاثة عوامل اجتماعية رئيسية ذات علاقة بمسألة العنف وهي:

ا) العامل البيئي: افترض بأن البيئة السليمة تساهم في وجود أطفال أصحاء وحينما نقول بالبيئة فأنما نعني بذلك: المنزل المستقر، الحياة المدرسية غير المتوترة، الوسط الاجتماعي- الثقافي الآمن. حيث من شأن هذه الاجواء الهادئة ان تساهم بنشوء جيل خال من التوتر والعنف بينما العكس في ذلك: منزل مضطرب، مدرسة متوترة، مجتمع غير آمن، يمكن ان يزيد ان من احتمال ظهور العنف بصورة ملحوظة. وفي هذا السياق حاولت اخصائيات اجتماعيات لبنانيات [5] دراسة ظاهرة التسلح عند الاطفال والناشئة واشكالية دور البيئة العائلية والسكنية في تعزيز مفاهيم الحذر

والتأكيد على أهمية حمل السلاح.. فقد وجدن ـ وخاصة في المجتمعات القبلية حيث النزاعات المسلحة تبقى كنار تحت رماد ـ كيف أن:

- حيازة الاسلحة ضرورة متوارثة من جيل إلى جيل بل ان بعضهم يعتبرها مظهرا من مظاهر الرجولة ويسعى الجميع لاقتنائها خاصة ممن يعش خلافات عائلية او شخصية دائمة
- اوجه استخدام السلاح يرتبط بصورة عامة بالعديد من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تختلف من مجتمع لآخر
- المشكلات الاجتماعية وابرزها العنف هي ما تدفع الافراد الى حيازة السلاح، وتعد مشاجرات المراهقين التي يصاحبها استخدام السلاح الابيض (السكاكين/ الخنجر/ امواس الحلاقة/ الفيد..)

احد اكثر انماط العنف الشائعة في المجتمع على حدا سواء، إذ يميل هؤلاء إلى استخدامها في المدارس والإحياء الشعبية.

- ضغف الضبط الاجتماعي الرسمي يعتبر حافزا لامتلاك السلاح وحيازته حيث تضعف هيبة السلطة في فرض النظام والامن فيجد الناس امام ذلك بُدّاً من أخذ احتياطات الحماية لتعزيز آمانهم الشخصي ويمكن اعتبار لبنان مثلا حاضرا لذلك؛ اذ ونتيجة الاحداث المتواترة منذ العام 1975 وحتى ايامنا هذه يشهد سهولة اقتناء للسلاح واستخدامه دون الخوف من العواقب المترتبة نظرا لظروف التوتر المتعاقبة ووجود الميلشيات والفصائل المسلحة وغياب تطبيق منطق القانون ناهيك عن ظاهرة «العصبية والثارات» التي تترجم بكثرة الاشتباكات في مختلف الاحياء

والمناطق ذات البعد العشائري. وفي دراسة حقلية – اجتماعية حول واقع النزاعات المسلحة وآثارها على الاطفال (منطقة بعلبك نموذجا) استطلعت الباحثات رأي عينة من الاطفال لمعرفة الآثار التي تتركها النزاعات المسلحة في شخصية الطفل وما هي العوامل التي تساعد على انخراط الاطفال في النزاعات، فتبين ما نسبته (36 %) من الاطفال بين عمر 10- 15 سنة يحملون السلاح (واخصها (39 %) سكينة، (36 %) مسدس) ولدى سؤالهم عن السبب الذي يدفعهم لحمل السلاح تنوعت الاسباب وتعددت حيث اظهرت نتائج الاستطلاع المعطيات التالية :

السبب في حمل السلاح	النسبة المئوية
حب السلطة والشعور بالفخر	7.5 %
حب السلاح	5 %
حب الانتقام	6 %
الدفاع عن النفس	%14
الدفاع عن الدين	%8
الدفاع عن الوطن	%7
الدفاع عن الاهل	%6.5

وحول اذا كانوا يجدوا انفسهم معنيون بالنزاعات التي تحدث في بيئتهم ومحيطهم اكد من نسبتهم (62 %) بنعم مقابل (38 %) اشاروا بلا، ولدى استيضاح افراد العينة المستجوبة من الاطفال: ماذا تفعل حين يحدث نزاع : هل تقاتل مع جماعتك ام لا تشارك في الصراع؟ لتجيب الغالبية (22 %) بأنها تقاتل في مقابل أقلية (12 %) رأت غير ذلك .[6]

ب) العامل الثقافي: لا زالت هنالك أوساط اجتماعية تأخذ بثقافة سائدة تقوم على مفاهيم القوة والتحدي وعدم الخضوع والفتوة والارتقاء نحو الغايات عبر

مفهوم الغلبة. مثل هذه الانطباعات تترك تأثيراتها على الاجيال ومسار حياتهم وتصرفاتهم فيصبح هنالك مبادئ تعزز من ضرورة استخدام العنف والانتهازية والوصولية، فمفاهيم الرجولة في البيت تكون تجاه الزوجة والاولاد بفرض الهيبة والسلطة المطاعة والا شبّ على الفوضى والفلتان، وخارج المنزل تكون بالحذر واقتناص الاخر وعدم الثقة المطلقة لانه ان لم تكن ذئبا استخفّت بك القطط. don't let anybody get your head

ما رأيك بالموقف التالي:

لمرات عديدة ومتتالية ألاحظ كيف ان الكبار يعنفون الصغار، فذات يوم وجدت ابا في احدى التعاونيات يأخذ بتعنيف ابنه ويستمر بأهانته وتوبيخه ولم يتوقف الا بعدما تجمع المارة من حوله وبدأوا ينظرون بشئ من الاستياء والاحتقار..ومرة تالية وجدت اما تضرب في حديقة منزلها ابنها وترميه ارضا وغالبا ما كنت اتكلم لاحدهم حينما يؤذي اولاده لكنه سرعان ما ينفجر في وجهي غاضبا على تدخلي وتطفلي على خصوصيته في شؤون رعاية اولاده ..

ازاء ذلك تراني ماذا عللي ان افعل في مواقف مماثلة خاصة وان الاولاد في ظل هكذا آباء قد يتعرضون لاذى اكبر ان لم يكن احد يشاهدهم ؟

....

رأي الباحث:

كثيرة هي المحاكم التي تأخذ بشهادة شاهد حول عنف الاطفال لمجرد الادعاء او الإخبار عندما يتصل احدهم بالهيئات المعنية بحقوق الطفل وحمايتهم، او بالشرطة المحلية لتتولى هي بدروها المفترض، وهذا سبب وجيه لان تتصل وتُعلم وليس بالضرورة ان تصرح عن اسمك المهم ان تفعل شيئا قبل ان يتفاعل الامر نحو الاسوأ داخل الابواب الموصدة، وعندها يكون على شئ من الخطورة.. الإيذاء الجسدي المباشر تجاه اي شخص او العنف المركز على الاطفال يستحق الاتصال بالشرطة او ابلاغ المعنيين بالامر كأضعف الايمان ..بالطبع هناك امورا يتحفظ عليها القانون: فأذا كانت الام مثلا تصفع ابنها على مؤخرته لانه خرج الى الطريق بمفرده وقطعه دون انتباه انما هذا ببعض البيئات يعتبر بمثابة اسلوب تربية (تأديب) ليتعلم الصغار المحاذير لذلك لا يستدعي مثل هذا التصرف فيما لو رايته في الطريق فتح تحقيق عن سوء معاملة الاهل لاولادهم وتعنيفهم.

ب) العامل التربوي: ثمة رأي بأن المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي المتدني والفقر والبطالة والعوز هي ما تؤشر الى احتمالات ظهور حالات عنف، وارتكز اصحاب هذا الرأي على نزعة تصورية تعتمد على الحكم المسبق والشائع بين الناس مفاده ان من يقوم بأعمال عنف هو بطبيعة الحال ذاك القادم من بيئات اجتماعية دنيا، اذ عندما تعتقل الشرطة مثلا فتية قاموا بأعمال سرقة أو شغب أو تعدي فأنها تميل إلى الاعتقاد بأن الجنح والجرائم يرتكبها هؤلاء الصبية نظرا لسوء الاشراف العائلي ولأنعدام المثل العليا في محيطهم وهم لم يرتكبوا ذلك الا لانهم يفتقدون الرقيب العائلي المحاسب او لانهم يعانون حالات حرمان نسبي (بينت بعض البيانات عن حالات الاعتقال والمثول امام المحاكم

الى ان الاحداث الذين نشأووا في عائلات ذات والد واحد يكونوا اكثر ميلا لارتكاب اعمال منحرفة من اولاد نشأوا في ظل عائلات ذات ابوين، وقد فسر علماء الاجتماع هذه الظاهرة بالقول بأن الاطفال الذين نشأوا في عائلة مع أحد الوالدين فحسب قد ينشأون تحت ظل اشراف أقل أو إنهم لا يجدون في حياتهم القدوة الحسنة ليحتذوا بها). وفق هذا التصور يصبح الحكم الشائع بين الناس بأن الانحراف المتمادي عند الاحداث انما خاص بالفقراء لا بالأغنياء حتى لو ارتكب شباب هاتين الفئتين جرائم متشابهة..

*) وفي سياق متصل ترى نظرية التعلم أن بعض حالات العنف تنتج عن التنشئة المتسلطة وبالأخص سيطرة الضوابط الاجتماعية الصارمة.. بأعتبار ان

السلوك العنفي هو مكتسب كباقي السلوكيات وهو في المجتمعات المنغلقة أحد مصادر الاعتبار الاجتماعي، وخاصة لدى الجماعات القلقة على وجودها حيث تعد حيازة بندقية وإجادة التصويب والرماية جزء من ثقافة حماية للوجود عززتها لديهم مخاطر الايام السالفة، كذلك غالباً ما يستخدم أبناء الطبقة الدنيا قوتهم العضلية في صراعاتهم مع الاخرين اي ان الظروف الصعبة هي التي تخلق عندهم هذا الميل نحو العنف، اذ انهم يتعلمون السلوك العنفي ومعاييره من خلال مشاهداتهم للجماعات التي تحبذ منطق القوة .

6) المقاربة النفسية - البيولوجية: تميل التفسيرات البيولوجية شأنها شأن التفسيرات النفسية إلى البحث عن أصول العنف داخل النفس البشرية دون التركيز

7) على السياق الاجتماعي، اذ ركزت على وجود حيثيات فطرية في نفوس الافراد تبرر ميلهم إلى الانحراف أو العنف (وتاليا نحو الاجرام) فبرأي عالم الاجرام الايطالي سيزار لمبروزو (1850) هناك نزعة نحو انماط سلوك إجرامي من قبل أشخاص محددين يعانون العجز أو القصور من الناحية البيولوجية، وفيما تميل المقاربات البيولوجية الى التركيز على الخصائص التكوينية للجسد وعمل الغدد وانتظام الهرمون فأن الاتجاهات السيكولوجية تعطي وزنا لخصائص الشخصية معتبرة أن ضعف القدرة العقلية او الانحطاط الاخلاقي موروثة اساسا، وانها قد تجنح بالشخص الى الجريمة والعنف. ويرى بعض المنظرين في هذا الاتجاه ان الملتاثين الذي تدفعهم لوثتهم الجسمية أو العقلية إلى الانسحاب والانقطاع عن الاخرين وإلى إنعدام إحساسهم بالاثم او

الذنب مهيأين أكثر من غيرهم للقيام بأعمال إنحرافية أو إجرامية كما إنهم يتلذذون بأعمال العنف بحد ذاتها نتيجة الخلل في بينتهم البيولوجية أو النفسية.

وتفترض دراسات عديدة أن العنف يولّد العنف خاصة في البيئات والمناطق التي تشهد دائماً نزاعات مسلّحة وتوترات عسكرية دائمة، ففي بلد كالعراق اتسم ولسنوات بالعنف الشديد تشير المعطيات إلى أن الضياع واليتم والقهر والاضطرابات النفسية هي قواسم مشتركة لأطفال العراق في ظل النزاعات المسلحة بل تبين واضافة إلى ما يعانية هؤلاء الاطفال من قهر وحرمان في الرعاية إلى أن يصبحوا أبناء لآباء قتلوا او تعرضوا لتعذيب فيسارعون إلى حمل السلاح دون وعي [7]

*ثمة ما يشبه الاجماع في أوساط العلوم الاجتماعية على أن الرجال في أنواع محددة من الجريمة هم الذين يقومون بأعمال الاعتداء بينما تكون النساء هن ضحايا العمل الاجرامي، فالعنف البيتي والتحرش الجنسي والاغتصاب هي نمط الجرائم التي يرغب فيها الرجال استخدام تفوقهم الاجتماعي والجسدي ضد النساء وتشير بعض التقديرات إلى أن ربع النساء على الاقل في المجتمعات الغربية قد وقعن ضحية للعنف مرة واحدة على الاقل في حياتهن بينما تتخوف نساء كثيرات بصورة عامة من احتمال تعرضهن لذلك حسبما بينت إحصائية بريطانية (1998) حول الهموم والمخاوف التي اعرب عنها الناس من وقوعهم ضحايا للجرائم والعنف مرة واحدة على الاقل وتتخلص في البيانات التالية:

الهاجس / الفعل	النسبة المئوية
السرقة	% 48
السلب	% 43
الاغتصاب (اناث)	% 69
اعتداء جسدي	% 44
سرقة مركبة	% 56
سرقة من مركبة (سلب بقوة السلاح)	% 43

*كذلك ثمة ما يشبه الاجماع ووفقا لدراسات عالمية بأن الفقر والأمية والتمييز وانعدام التعليم وفرص الرزق هي التي تؤدي إلى بروز ظاهرة العنف وتباعا "ظاهرة الأطفال المنتمون للجماعات المسلحة" وذلك طلبا للحماية او رغبة في الثأر او للشعور بالانتماء بسبب فقدان المسكن والأهل ويعتبر الأطفال من الناحية الاقتصادية ـ بديلا فعالا للمقاتلين الكبار اذ يسهل تلقينهم العقائد والتلاعب بعقولهم والتأثير عليهم بالافكار البطولية ومفاهيم القوة.

رابعا : انواع العنف

تناولت العلوم الاجتماعية والنفسية مفهوم العنف من جوانب مختلفة فهو لا يرتبط بالضرورة بالشر والتدمير فقد يقال أن فلانا يحب بعنف أو يعمل بعنف أو يأكل بعنف.. إلا أن الاتجاه الغالب عند الحديث عن العنف اعتباره [8]:

- كأستجابة تتميز بصيغة انفعالية شديدة
- أو كنتاج لمأزق علائقي يصيب الشخص في ذاته لينصب فيه على الاخر لأبادته،
- أو كسلوك عدواني يكون وليد الشعور بالعداوة يوجه ضد الطبيعة او ضد فرد من الأفراد أو ضد جماعة من الجماعات،

- أو كممارسة لقوة فوق إرادة الناس بما ذلك اثارة للفزع والهلع والخوف .
- أو كلغة تخاطب اخيرة ممكنة مع الاخرين حيث يحس المرء بالعجز عن ايصال صوته بوسائل اقناعية او حوار هادئ فيكون العنف محاولة للاقناع ولنزع اعتراف من الاخر

إزاء وجهات النظر هذه يتنوع العنف في حالاته ومفاهيمه اذ هناك من الباحثين من يراه: «الرد السريع المصحوب بعصبية»، وهناك من يراه «لحظات غضب متفاوتة» او انفعال داخلي متبوع بأعتداء لفظي او جسدي على الاخر نتيجة ضغوط حياتية أو موقف ما ..وهذا ما استدعانا ان نقف عند انواع العنف كظاهرة :

1) العنف الجسدي: يتراوح هذا العنف تجاه الأطفال أو الأولاد الصغار بمداه فقد يكون صفعة صغيرة نتيجة

انفعال من شخص بالغ (justifiable) انتهاء بأقسى حالات التعنيف المستنكر والمرفوض، وقد يتجلى هذا العنف ايضا في تداعيات مؤذية آنيا عبر الجروح والكسور والتشوهات، او في آثار جانبية تظهر على المدى البعيد كما هو الحال مع اصابات الجهاز العظمي (ككسر احدى الاطراف العظميّة قد يؤدي الى تشوه بعدما يصعب تجبيره، فيشب الطفل المصاب به ويصبح ذو إعاقة أو تشوه) أو كما هو الحال مع الحواس حيث الإيذاء الجسدي المباشر قد يحدث نوعا من التعطل في عمل احداها (فالضربة المباشرة على الأذن قد تسبب طرشاً أو صمماً فيما بعد) او قد يتعطل عمل الدماغ (حيث الإرتجاجات الدماغية قد تحدث نوعاً من الخلل في الجهاز الليمفاوي او تساهم في اتلاف خلايا عصبية تتجلى آثاره في حالات العمى او النزيف الداخلي) ويترك

ذلك تأثيرا على الملكات الذهنية ..

وقد حدد بيشاروف (1990) عددا من الظواهر يمكن أن تتأتّى من جراء التعنيف وابرزها:

I. تأخر في مستوى النمو، فالتطور النمائي لدى الاطفال يأخذ مجراه السليم وفق نظام طبيعي من الاحتياجات المتزامنة ولكن عندما يحدث اجتزاء او اخلال او منع او تقصير في مسار هذا النظام النمائي لا شك سينعكس ذلك سلبا على مستوى النمو لما من شأنه ان يحدث تأخرا

II. شكل الاذى: يدل في احيان كثيرة عن واقع الاعتداء الذي طال «العطل والضرر» فاللذع بالسيجارة او الضرب بالحزام او القرص الموجع كل ذلك تظهر تبعاته على الجسم بتشخيص الاخصائي .

III. مكان الايذاء، في الغالب تعتبر اطراف الجسم هي المكان المستهدف للايذاء واخصها الذراعان / الرأس/ الوجه / الارجل/ الركبة/ الاصابع/ الظهر / البطن / الاعضاء التناسلية..

IV. نمط الايذاء: من الصعب إخفاء إدعاء من يؤذي بأن ما حدث نتيجة حادث أو هو من جراء إيذاء ذاتي عمد إليه الطفل، فبعض الكسور تُشخّص اذا ما كانت نتيجة دفع او لوي او جر..عن تلك التي تحدث له اذا كان الولد يلعب مع رفاقه..

V. طرق الإيذاء: ويقصد بذلك قديمها من حديثها، فكثير من الايذاءات يمكن للخبير المتخصص ان يتبين ما حدث من جراء التعنيف عن تلك التي يمكن ان تكون بغير ذلك.. فالمتعارف عليه ان الايذاء المتكرر في اماكن متفرقة على الجسم ما هو الا دلالة

وعلامات على ان الايذاءات ليست مجرد حوادث
صدفة بل تعنيف جسدي متعمد..

دلت بعض الأبحاث المعنية بأن معظم الاطفال الذي يتعرضون للعنف الجسدي بما فيهم اؤلئك الذين مروا بخبرات عاطفية قاسية أو نفسية منجرحة أنعكس فعله وتأثيره على النمو الطبيعي للجسم وعلى التطور العقلي وبناه المعرفية، ولحظت هذه الابحاث «منطق العنف المبرر» الذي تحمله بعض الذهنيات الاجتماعية القائمة على تقاليد وأعراف وثقافات تمجد القوة والسطوة والعنف كما في قولهم بالامثال الشعبية اللبنانية:

- اللي بيدعس ع طرفك ...دعاس ع رقبتو
- ان لوّثت لسانك ..لا تلوّث خنجرك
- ألف فوتة سجن ولا كلمة جبان..
- العصا بتعلم الدب الرقص
- ما عندن خبز يتعشوا فيه ..جابوا عبد وصارو

يلطشو فيه

- ضُرب الحديد هوي وحامي
- ضرب الحبيب زبيب وحجارتو رمان

وضمن الحديث عن العنف الجسدي نشير بأن هناك حالات مرضية تدل في ملامحها على أن سبب وجودها هو صور التعنيف بعينها، فالاطفال الذين يتعرضون للإساءة الجسدية أو الجنسية أو يحرمون من الطعام أو الملابس أو المأوى مراراً أما أن يموتوا أو يصارعون للبقاء مع معاناتهم يحملون مضاعفات ومستتبعات نفسية خطيرة نختصرها بالعوارض التالية:

- الخوف من المواقف بطريقة انفعالية (الصوت المرتفع يوتره)
- تغيير مفاجئ في السلوك (مزاجي/ تارة سعيد وتارة كئيب)
- التغيب عن المدرسة او الهروب منها
- عدم الرغبة في العودة الى المنزل
- الملابس غير المتناسبة مع الجو

- عدم الاستمتاع باللعب
- اطاعته للاوامر والطلبات اقل من المتوسط
- تظهر عليه علامات الغضب
- يجد صعوبة في اقامة علاقات مع اخرين
- تظهر عليه علامات التلعثم والتأخر في النطق
- ممكن ان يرتجف عند ملامسته
- عدواني جدا او منعزل جدا اذا لم يكن يستطيع المقاومة
- يحاول دائما ارضاء الاخرين
- مفهوم الذات لديه منخفض دائما (فاقد للثقة والاحلام والطموح)
- شعور متواصل ومخز بالكرامة المنتهكة
- اللامبالاة والبرودة والتخوف والحذر (سلوك انسحابي غير عدواني)
- زيادة الشهية في الطعام او فقدانها
- الرسم المخيف واستخدام اللونين الاحمر والاسود بكثرة

- التصرف بعنف مع العابه او الحيوانات
- الخوف من الذهاب الى اماكن معينة
- قلة النوم / خيالات مستمرة / احلام منزعجة
- ردود فعلهم تكون عنيفة وانفعالية
- الاهمال التام والعنف المستمر قد يؤدي الى الانتحار
- نوبات عضب انفجارية

قد لا تكون بالضرورة هذه المظاهر نتيجة العنف الجسدي ولكنها لائحة عوارض جمعت عن اؤلئك الذين يتأذون ويعانون من حالات تعنيف. فقد يظهر على بعض الاطفال المعنفين شيئا منها بينما لا تظهر على اطفال اخرين في نفس الوضعية، وذلك يعود الى مسألة تكيف الطفل مع حالة العنف الممارس عليه ومدى تأثره به، فبعضهم قد ينسحبون عن مصاحبة الرفاق واللعب معهم والاستمتاع بصحبتهم وينعزلون بذاتهم، في حين تبين بالمقابل ان هناك من يندمج في اجواء اخرى بعيدا

عن المنزل لكي ينسى ما به بل وقد يبدو اكثر مشاغبة وفظاظة. اما كيف يتفاعل الطفل مع العنف؟ فذلك يرجع بدوره لسمات خاصة تتعلق بهذا الطفل او ذاك لجهة شخصيته/ مناخ اسرته/ علاقاته/ كيفية قضاء فراغه/ ممارسة هواياته/..اذ بينت الابحاث السيكولوجية ان البالغين الذين يعنفوّن غيرهم انما يرجع الى كونهم تعنفوا وهم صغارا ولكن مثل هذا «المعطى» يبقى مجرد افتراض اذ ليس بالضرورة ان جميع الاطفال الذين تعنفوا وهم صغارا سيمارسون العنف بأحتمالات عالية ضد غيرهم عندما يكبرون.. لقول الباحث السيكولوجي هايفي (1989): «ان الاطفال الذين يظهرون مرونة عند سوء معاملة لهم او اؤلئك الذين خبروا حالات عنف يصبحون في المستقبل ـ وحسبما بينت الآف الحالات ـ آباء عاطفيين، ودودين، مهتمين، وحساسون تجاه مطالب ابنائهم..»

كذلك بينت دراسات متابعة في السنوات الاخيرة ان بعض

الاطفال الذين تعرضوا للعنف اصبحوا لآحقا شبانا ناجحين في حياتهم الدراسية والعملية كمحاولة للتغلب على النقص والحرمان واثبات جدارتهم بالتعويض على رغم ما مرّوا به من اهانات وايذاءات، وهذا يؤشر الى مدى تكيف الطفل لواقعه ووعيه لذاته وتحليه بالصبر امام التحديات وتغلبه على «مشاكل يومياته» بالأيجابية والحماس والتواصل مع الاخرين لينسى ما يمر به .

2) العنف الجنسي :

هو أي فعل قوة يتخذ صورة تحرّش او أكراه او أعتداء او أستغلال من قبل فرد او جماعة تجاه آخر بمسائل جنسية (بدءً من المعاكسات الفظة في الطريق مرورا بحالات أبتزاز للممارسة وأكراه على المجامعة وأجبار على التعري أو طلب حركات أغراء أنتهاءً بحالات تسهيل الدعارة وترويج أفلام

مصورة) دون النظر الى النوع الجنوسي، (ليس بالضرورة من يؤدي الفعل العنفي- فقد يكون من قبل الرجل تجاه المرأة ويمكن ان يكون العكس..) ودون النظر ايضا الى عامل العمر (اي ليس بالضرورة ايضا ان يحدث فعل القوة هذا في اعمار شبابية فقط..)

وقبل النظر في تبعات العنف الجنسي على الاطفال من البديهي ان نحدد: من الذي يعنف من ؟ ومتى ولماذا؟ ذلك ان الفتيات مثلا يُعتبرن دائما الضحية المتوقعة لهذا العنف حسبما اشارت الى ذلك احدى الباحثات (RUSSAL 1984) من ان هناك ما يفوق نصف عدد الاناث معرضات الى عنف جنسي ريثما يصلن الى عمر الثمانية عشر، كذلك وجدت هذه الباحثة من أن (16 %) من نسبة اناث مستجوبات لدراسة متخصصة قد تعرضن لعلاقة جنسية مع محارم (سفاح قربى: incestuous)[9] وفي سياق متصل كشف باحث

سيوسيولوجي آخر يدعى FINKLHOR (1986) من أن االقاسم المشترك بين الأطفال الذين يتعرضون للعنف الجنسي أنما يحدث لهم ذلك ما بين عمر 8 - 12 سنة، ولدى تقصيّه عن السبب الذي يجعل بعض الاطفال يتعرضون لهذا النوع من العنف بينما آخرون لا؟ وجد احتمالات الاجابة في اسباب ثمانية هي [(10)]

أ) وجود زوج أم (having step-father) ثمة احتمالية ان يتعرض طفل الى تعنيف جنسي من قبل زوج أم وخاصة الطفلة التي تفتقد حنان الاب باكرا فتجد صدر البديل ملاذا وتعويضا

ب) وجود والد أعزب (single parent) في ظل مناخ اسري قوامه غياب ام او اب وبقاء الاولاد مع أحدهما فأن احتمال تعرّض احد الاولاد للعنف الجنسي قائما من ذكور الاسرة تجاه أناثها لغياب الرقيب

ج) فتور العلاقة مع الام (having a poor relation with the mother)

فالأولاد وخاصة الفتيات اللواتي لسن على تواصل حميمي مع أمهاتهن او بعيدات عنها من المحتمل ليس فقط تعرضهن لعنف جنسي انما يكتمون ما يمرون به من تحرش المقربين بهن.

د) مستوى علمي متدن عند الوالدة،(low education mom)

في بعض الحالات المسجلة عن حوادث العنف الجنسي تبين ارتفاع مؤشر مستوى تعليم الوالدين المتدني وخاصة عند الام، حيث من شأن هذه الخاصية أن تؤثر في عدم القدرة على حل مشاكل جنسية أو معرفة ميول بناتهن واحتياجاتهن الخاصة.

ه) شخصية الاهل،اذا كانت شخصية الاب او الام من ذوي النمط العصابي المتسم بسمات عصبية متوترة وانفعالية، فأنما ذلك قد ينعكس بدوره على اجواء

الاسرة لجهة عدم الرقابة او اللامبالاة او عدم العناية والاهتمام من قبلهم، وحيث احتمال العنف يبقى قائما

و) المواقف الصارمة تجاه مسائل الجنس: في بعض الاسر وخاصة التقليدية- المحافظة جدا يعتبر الحديث بموضوع الجنس بمثابة محرم (taboo) لهذا يتردد الاولاد من البوح عن ما يحدث لهم من امور جنسية امام والدتهم الصارمة مثلا التي ستواجههم بعقوبات قاسية.

ز)مستوى اقتصادي متدني: ويربط بعض الباحثون بين حالات الفقر والبطالة والجهل والامية نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة وحالات التهور في تحرشات واعتداءات جنسية. ولم تتبين الاسباب المفسرة لعلاقة هذا السبب بالنتيجة كل ما يكتب بأن البطالة ام الرذائل والفقر وراء كل مفسدة.

ح) تواصل اجتماعي محدود: الاطفال الوحيدون لا يميلون في الغالب لأن يكونوا فقط مع اطفال مشابهين لهم بل يصبحون حساسون ويسهل التأثير عليهم، لهذا السبب يقعون فريسة وخدع المتحرشين بهم الذين ينفذون اليهم عبر هدايا وعطف وأهتمام وكلام معسول (كونهم لم يخالطوا ويعرفوا مكر الناس وخبثهم وألالآعيبهم..)

مثل هذه العوامل المذكورة ما هي الا اضاءة بسيطة على واقع ما يحدث في عالم الاطفال المعنّفين جنسيا وما تحديدها الا بهدف توضيح الظروف التي يمكن ان تؤدي الى حالات العنف الجنسي ولتساعد بالتالي الاخصائيين الاجتماعيين والتربويين على ادراك الابعاد والخلفيات التي تكمن وراء حالات العنف هذه، خاصة بعدما اخذت هذه الظاهرة تتنامى

بشكل خطير مع ما يعرف في الدراسات الاجتماعية ب: بغاء الاطفال وصناعة الجنس العالمية، حيث تشير دراسة حول بغاء الاطفال في الولايات الامريكية وبريطانيا الى ان اكثر هؤلاء الاطفال هم من المعوزين الذين هربوا من بيوتهم ثم دخلوا سوق البغاء لتأمين مصدر رزق. وقد ميّز بعض علماء الاجتماع امثال (JANUS & BRACEY 1980) بين ثلاث فئات واسعة من الاطفال البغايا وهم: [11]

I. الهاربون الذين يغادرون بيوتهم ولا يتقصى اهلهم عن مصيرهم او يعودون للهرب حالما يُعاودن الى ذويهم

II. المتشردون الذين يقيمون مع اهلهم ولكنهم يتغيبون لعدة ليال في مكان آخر

III. المنبوذون الذين يتجاهل الاهل وجودهم ولا يعيرونهم ادنى اكتراث او يرفضون وجودهم بصورة تامة.

ويعتــبر بغــاء الاطفــال جــزءا مهّــما مــن صناعــة الســياحة الجنســية العالميــة في عــدة مناطــق مــن العــالم مثــل تايلانــد والفليبــين حيــث يجــري تنظيــم رحــلات ســياحية جماعيــة مــن الرجــال في أوروبــا واليابــان وامريــكا نحــو هــذه البلــدان لهــذا الغــرض، وعــلى الرغــم مــن التظاهــرات الاحتجاجيــة التــي تقــوم بهــا تجمعــات نســائية وجمعيــات أهليــة ازاء ظاهــرة الاســتغلال الجنــسي للاطفــال فــأن هــذه الرحــلات لا زالــت قائمــة.. وجــاء في تقريــر نشرتــه منظمــة العمــل الدوليــة عــام 1998 ان البغــاء وصناعــة الجنس في جنــوب شرق اســيا قــد اتســعا ليصبــح قطاعــا تجاريــا كامــلا في العقــود الاخــيرة ويربطــون ذلــك بظاهــرة الضائقــة الاقتصاديــة والحرمــان والبطالــة التــي تدفــع الاسر المعــوزة الى التغــاضي عــن عمــل نســائها واطفالهــا في ممارســة البغــاء.

والنتيجة العامة التي يمكن أن نخلص اليها هنا الى ان البغاء والاستغلال الجنسي يعبر بظاهرته - بل ويساعد في احيان كثيرة-

على تعزيز نزعة الرجال الى معاملة النساء والاطفال بأعتبارهن "أشياء للاستمتاع" او "كائنات للرغبات" يمكن استخدامهم لأغراض جنسية سواء بالاكراه او بالابتزاز او بالعنف.

1.2- نتائج العنف الجنسي:

رغم الوقائع المؤلمة عن السيدات اللواتي وقعنَ ضحية العنف الجنسي خلال مراحل طفولتهن لم يرفع ذلك من نسبة الوعي لديهن بمخاطر حالات العنف وحسب وانما هيأت العمل الجاد للحد من آثاره وتداعياته على المدى المنظور والبعيد:

• على المدى المنظور قد يترتب على هذا العنف: القلق / الاحباط/ الاكتئاب/ الوسواس القهري وهو ما يعرف بجلد الذات/ عدوانية/ قلة ثقة بالذات/ شعور بالذنب/ انطوائية وخجل.. وليس ادل على ذلك من قول بعض الفتيات ممن يمارسن الدعارة

وحسبما اشارت دراسة اجتماعية بعنوان: البغي بين الضحية والمجرمة /الجامعة اللبنانية / 2010 حينما سئلن: كيف تنظرين الى جسدك؟ فتراوحت الاجابات بين اللامبالاة به والكره والنظرة العادية اليه حيث اجابت ما نسبته (27 %) بأنها «تحبه» (13 %) «تكرهه» و(12 %) وجدن فيه «مصدر تعبي»، و(11 %) قلن بأن «علاقتي به جيدة ويجب ان اعتني به فهو مصدر رزقي» اما النسبة الاغلب لا تعيره اهتماما يذكر بل هي علاقة عادية بأعتبار ان من يقيّم جسد المرأة هو الرجل الذي يدفع وما عليها الا تقديم المتعة، ولدى سؤالهن عن مدى الرضا بما يفعلنه فأعتبرت (56 %) منهن بأنهن غير راضيات مقابل (33 %) قلن نعم في حين اشار (11 %) منهن بنوعا ما! وهل تعتبرن انفسكن ضحايا؟ لتجيب:

(67 %) منهن بنعم، (30 %) بلا (4)، هذا على صعيد النساء اما بالنسبة للاطفال المعنفين جنسيا فأن العوارض المذكورة تظهر عند ثلث الاطفال في مداها المنظور ولكن في مراحل عمرية لآحقا قد يصبح « الاعتداء» بمثابة جرح في أعماق الذات يؤرق صاحبه ان لم يندمل وقد تجنح بصاحبها الى القيام بأعمال عدوانية اتجاه الآخرين يغلب عليها الطابع الجنسي - بحسب رأي احدى الباحثات الامريكيات ولدى تبريرها لحالات الاعتداء على النساء في الاماكن العامة من قبل بعض المهووسين- بأن وجود المرأة في مكان عام يعتبر بمثابة "فرصة سانحة ليفجر بعض المعّنفين من قبل نساء كبتهم او غضبهم أو حقدهم على واحدة منهن فيعمدون الى دفعهن او قهرهن او حتى ضربهن أنتقاما أو تنفيسا

لكبت عايشوه مع أنثى. فتكون الضحية بمثابة كبش فداء". [12]

- في المدى البعيد: بناء على بعض التقارير الميدانية حول ظواهر العنف الجنسي وجد كوربي (1993) علاقة طردية بين العنف الجنسي والصعوبات العاطفية عند المعنفين جنسيا، فالفتيات اللواتي وقعن مثلا ضحية اعتداء سافر او تعنيف جنسي مباشر (اغتصاب) يصبح لديهن شعوراً عاماً بعدم الرغبة في التعرف على رجال او الارتباط بهن كون صورة الرجل – الزوج اختلت لديها في المخيلة، وترك ذلك همّا متزايدا وعدم رغبة ورضا في العلاقات الحميمية وقرف مما يتعلق بمسائل الجنس على نحو ما تشير إحداهن بالحالة التالية:

الحالة الاولى: الماضي البغيض
تشعر نبال – الطالبة الجامعية ذات الخمس وعشرين ربيعا- بتوتر وقلق شديدين أصبحا يؤثران على مسار حياتها، فالبيت بالنسبة لها أصبح مكاناً مزعجا، لا تشعر من جهة والدها بأية عاطفة، خُطبت مرتين ولم توفق، تشعر بضغط نفسي كبير وتتصور نفسها بأنها غير صالحة بسبب الصدمة التي لآ زالت تحملها منذ طفولتها عندما تحرش بها خالها وهي طفلة في السابعة من العمر وبقي يلاحقها حتى سن المراهقة، كان يضربها حينا، يهددها حينا آخر ويمدها بالعون المادي طورا آخر مقابل أن تسكت على تصرفاته. حاولت نسيان ما حدث لها لكن الماضي ظل يؤرقها بذكرياته البشعة..اليوم تشعر بالذنب والقرف لدرجة لم يعد لديها رغبة الارتباط بأحدهم وتصبح سيدة اسرة ..فالحياة بالنسبة لها – وكما تقول- فراغ ولا معنى لها،

وبالسياق ذاته أشارت دراسات متخصصة بأن العنف الجنسي يمكن أن يتحول إلى إيذاء فعلي في بعض الحالات (المعتدى عليها قد تصبح مجرمة تبحث عن انتقام) نتيجة ما تحمله في اعماقها من بذور حقد على ما حدث من أحدهم (سواء كان رجل أو إمرأة) وحينما تتسنى لها فرصة الانتقام تتحول انسانة شريرة برد فعل تعويضي لأرضاء الذات المنجرحة.. وهذا ما يصطلح على تسميته سيكولوجيّا بـ:penetration، أو كما يحدث مع الاب الذي عنُف صغيرا ونشأ في اسرة متوترة كيف يحمل بداخله بعضا من ذلك المناخ الاسري المظلم ليمارسه

لآحقا على اولاده عبر قواعد متشددة في التربية وأساليب صارمة يشوبها العقاب والقصاص القاسي/ القمع/الرفض/ الشك..

على ما تقدم يمكن تعريف الإيذاء الجنسي للأطفال بصورة عامة على إنه ممارسة الجنس مع القُصّر ويختلف عن مفهوم الزنى بالمحارم، فالاولى تعني أن الشخص البالغ يستغل الطفل لأغراض جنسية بينما الثانية لا تفترض وقوعها في فئة عمرية محددة. لكن بالرغم من ذلك تشير التقديرات الإحصائية بأن اكثر أنواع الزنى بالمحارم شيوعاً هي التي تتضمن الايذاء الجنسي للاطفال وخاصة ممارسة الاباء لعلاقة جنسية مع بناتهم الحدّثات. حيث تشير البيانات الرسمية الغربية المبلغ عنها لدى السلطات أن حالات الاغتصاب غالبا ما يكون فيها الرجل معروفا من قبل الضحية و(43 %) من حالات الاعتداءات الجنسية هم من الاقارب او الاصدقاء او المعارف. اما في

المجتمعات الشرقية والعربية فأنه من الصعب تقدير ما يعلن عنه من حالات اعتداء واغتصاب ان لم يبقَ اغلبها طي الكتمان ويجري التستر عليه لأعتبارات أخلاقية واجتماعية شتى، ورغم تصاعد الدعوة إلى الإبلاغ والإعلان عن أعمال العنف والاعتداء والاغتصاب فأن المرأة (العربية) تتحاشى أو تتردد أو ترفض التصريح أو الإبلاغ عن هذه الأحداث خاصة إذا كان مرتكبها من المقربين. ذلك ان التصريح في هذه الحالة يعني دمار حياتها الشخصية اومستقبلها الاجتماعي. (لاسيما اذا وصلت للمحاكم فقد تتكشف كثير من التفاصيل امام الاخرين فتحس عندها بأنها هي المتهمة لا الضحية.)

ومن نتائج بعض الدراسات والابحاث التجريبية التي أجريت حول قضايا الايذاء الجنسي للاطفال تبين التالي:

- ✓ بأن حوادث الايذاء تكون أكثر شيوعاً في أوساط

العائلات الواقعة في الفئات الدنيا من الهرم الاجتماعي في المراكز الحضرية، وربما اسهم في شيوعها المرافق السكنية الضيقة

- ✓ إن تجربة الاتصال الجنسي التي أُرغم الاطفال على القيام بها مع البالغين من افراد عائلاتهم قد ولّدت لدى بعضهم شعورا بالتقزز والعيب والاشمئزاز تجاه الجنس .
- ✓ إن التحقيقات الاجتماعية والقضائية التي تجري مع المومسات والاحداث الجانحين والمراهقين الهاربين من بيوتهم ومدمني المخدرات، اظهرت بان نسبة عالية من هؤلاء قد عانوا في طفولتهم من أيذاء جنسي

وبالرغم من هذه المعطيات فأن الابحاث الاجتماعية والدراسات السيكولوجية تحذر من وضع ترابط سببي بين التجربة الجنسية

التي أرغم عليها هؤلاء في طفولتهم من جهة وبين ما آلوا إليه فيما بعد، فربما أسهمت عوامل ومؤثرات أخرى عديدة من بينها الخلافات الأسرية وإهمال الوالدين أو نتيجة التعرض للعنف الجسدي وأنواع أخرى من العنف نذكرها تباعا

3-العنف العاطفي:

- هل أتعامل بعنف وغضب مع طفلي؟
- هل أرى صفات في طفلي أجدها في فرد أكرهه من عائلتي؟
- هل أقارن طفلي بأطفال آباء آخرين بحيث لا تصبح المقارنة لصالح طفلي؟
- هل أبدي عدم المبالاة عندما يمدح أحد طفلي؟
- هل تخجلني تصرفات طفلي على الدوام؟

إذا كانت إجابتك عن هذه الأسئلة بنعم فانت بحاجة الى استشارة اخصائي نفسي لانك تساهم في تعنيف طفلك عاطفيا، بهذا استنتج باحثو الدراسات النفسية وبناء على تجارب بأن الآباء والأمهات لا تنبع هذه التصرفات عنهم نتيجة لفشل الطفل في القيام بشيء ما، بل لأنهم هم شخصيًا يعانون مشاكل نفسية حادة فسواء كان الأبوان ينتميان لعائلة فقيرة أم غنية، قد نجد أنهم حُرموا من الحب والحنان الأبوي ولعل من ابرز الطرق التي قد يؤذي بها الآباء أطفالهم عاطفيًا وهي:

(1) الحرمان والتجاهل

(2) عدم التقدير

(3) الخضوع لسلطة الأبوين.

حيث قد يمارس الأبوان إحدى هذه الطرق أو كلها للتنفيس عن صراعاتهما النفسية ولتجنب مواجهة المتاعب والضغوط الحقيقية التي تواجههما عند تربية الأطفال

1) الحرمان والتجاهل: نادرًا ما يعير الآباء الغائبون أي اهتمام بطفلهم إذا بكى، كما لا يكترثون بنموه. ونتيجة لذلك، يفشل أطفالهم في تكوين ما اتفق أطباء النفس على تسميته بالتعلق غير المَرَضي بالأبوين. فعندما يحتاج الطفل إلى دفعة من الثقة بالنفس، فإنه يلجأ إليهما أولاً ثم إلى غيرهما من البالغين المهتمين بأمره لقول أحد أطباء علم النفس: «إن الطفل الذي يتعرض للعنف البدني يتجنب ولي أمره خوفًا من أن يتعرض للضرب".وكذلك الطفل الذي يتعرض للعنف العاطفي يفعل الأمر نفسه تفاديًا لشعور الإحباط الناتج عن الرفض والتجاهل والحرمان. إن غياب الأبوين عاطفيًا قد يدمر نفسية الطفل، حيث إن الطفل حينئذٍ لا يحصل على أي من المكافآت أو وسائل الدعم

والتشجيع عن حبه للاستطلاع وتقدمه في النمو وتفوقه.

1) عدم التقدير: في بعض العائلات، يتصرف الاهل – وربما دون وعي - نحو التقليل من قيمة إنجازات الطفل مستخدمين لتحقيق ذلك الكلمات الجارحة وتهميش إنجازات، ومن الكلمات التي تقال مثلا « انت دائمًا كذا...» و»أبدًا لا يجوز» التي يقصد بها الإشارة إلى أن الطفل عاجز عن تحقيق أحلام الأبوين وهي ما يمكن أن توضح مدى تعامل الاب مع ابنائه ونظرته اليه وايذائه عاطفيا عبر عدم التشجيع والتقدير في شئ من التبخيس والتحقير،

2) الخضوع و الطاعة: إن استخدام الأبوين للتهديدات المستمرة لدفن الفضول الطبيعي لدى

الطفل نوع آخر شائع من أنواع العنف العاطفي. ونقصد هنا بفكرة الخضوع لسيطرة الأب أو الأم الكلية على جميع تصرفات الطفل، فيحذراه عبر الصد أو التبخيع او التحذير من ان يقوم بعمل دون إذنهما والا.... مثل هذا الاسلوب ما هو محاولة من قبل الاهل لفرض سيطرة واخضاع اعتقادا منهم بأنها لغاية تعليمه السلوك الجيد وغرس قيم التهذيب لديه ولكن ثمة فارقًا كبيرًا بين السيطرة عن طريق التعليم والتربية وبين السيطرة بفرض القسوة على الطفل. فالأب أو الأم اللذان يفرضان سيطرتهما على الطفل يجبرانه على الانصياع لأوامرهما بالإرهاب والتخويف.

اذن يمكن فيهم العنف العاطفي على انه الاعتداء على ضحية ما

(قد يكون طفلا او اي مخلوق آخر) وإذلاله إما سراً أو علناً والتحكم بالممارسات التي لا يمكن للضحية القيام بها وتعمد إحراجه أو الانتقاص من قيمته او عزله اجتماعيًا بإبعاده عن عائلته وأصدقائه بالإضافة إلى ذلك يتم ابتزاز الضحية بإيذاء الأخرين من حوله متى ما شعر بالسعادة والاستقلال الذاتي. ومن صور الاعتداء العاطفي أيضًا الحيلولة بين الضحية وكل ما قد يحتاجه من موارد أساسية في حياته كالمال مثلاً.

يتضمن العنف العاطفي دلالات الاهانة عبر إساءات لفظية يمكن أن تحمل خلالها تهديدًا للطفل أو إخافته أو التقليل من قيمته أو ثقته بذاته أو تقييد حريته. بالإضافة إلى ذلك يُهدد بأنه سوف يفضح علنًا إذا ما أقبل على اي تصرف. من الصور الأخرى للعنف العاطفي هو الانتقاد المستمر بتوجيه الشتائم المستمرة إلى الضحية وإطلاق بعض العبارات عليه ما من شأنه أن يقلل من ثقته بنفسه وهذا ما يسمى بالعنف اللغوي العاطفي.

لذلك كثير ما نجد ضحايا العنف العاطفي في حالة من اليأس والإحباط ويُصوّر لهم استحالة الهرب من وضعهم الحالي. غالبًا ما يشعر ضحايا العنف العاطفي بأنهم لا يمتلكون أنفسهم ودائمًا ما يشعرون بأنهم تحت سيطرة الأخرين التامة. الرجال والنساء على حد سواء ممن تعرضوا للاعتداء العاطفي عادةً ما يعانون من الاكتئاب وذلك يزيد من احتمالية تعرضهم للانتحار والإضراب عن الطعام وإدمان المخدرات والكحوليات.. كوسيلة دفاع أو هروب.

ويحدث احيانا ان يكون الكره/ الحقد/ الغضب/ الاستياء/ العدوانية كنتيجة للعنف، او ان العنف يظهر بدوره في سلوك عدواني مشوب بالكراهية والعدوانية، وثمة دلائل تنم عن دوافع عنف وسلوك عدواني يأتيها الفرد ومنها:

- الصياح المتكرر واحداث ضوضاء باستمرار
- الاكثار من السباب والشتائم

- استخدام اللغة النابية والالفاظ البذيئة
- اشارات التهديد والوعيد الى الذات والاخرين
- اغلاق الابواب بقوّة وتمزيق الاثاث وتحطيم الاشياء
- اشعال حرائق واتلاف ممتلكات
- إيذاء النفس بألات حادة
- المشاغبة العنيفة ومهاجمة الاخرين الى حد التسبب في ايذائهم او قتلهم.

واذا كنا نرى في بعض هذه الدلالات مظاهر «غضب» قد يضطر احدنا الى القيام بها في يومياته كتنفيس وكتعبير عن رد فعل غير مبرر، الا ان هناك فرق بين الغضب العادي والسلوك العداوني، الاول يعكس عدم الرضا عن شئ يجري والثاني يبلغ بصاحبه الى حد التهديد لحياة الاخرين، بمعنى ان الافراد العداونيون (والعنفيين) قد يمضون في عدوانيتهم حتى يصبحوا في السلوك العنفي الخطير..أما أسبابه فمتعلق

بمسائل التنشئة الاولى من إهمال ورفض وسوء تقدير وعدم تحفيز وتشجيع. أن استمرار هذا الحال في مؤسسات التنشئة التالية من تحقير وذم واذلال وهدر حق قد يترك آثاراً عميقة في مشاعر الفرد واحاسيسه ليبدو معها بأنه «مهمش ومضطهد ومكروه» فينشأ على كره الاخرين بأعتبار انهم هم من بدأوا في الكره، الا ما يهمنا الاشارة إليه هو طرق العلاج المناسبة لحالات السلوك العدواني الناتج عن العنف العاطفي ..

من الاهمية بمكان ان نشير بأن جميع انواع السلوك العنفي ودوافعها لا ينبغي الاستهانة بها لما يمكن ان يترتب على فعلها في حالات التمادي خسارة فادحة تطال المعنف والضحية والاسرة والمجتمع ، لهذا يجب ان تتضافر الجهود للاهتمام العناية والعلاج من قبل المحيطين والمعنيين بالمعنف والضحية في آن ..وعلاج مرضى السلوك العدواني المتسم بالعنف يتكون من استخدام العلاجات التالية مجتمعة [13]:

1. عقاقير يصفها الطبيب المختص

ويمكن الرجوع الى اطباء معنيون للكشف اذا ما كان مصدر العنف خلل في الهرمون او عطب في الدماغ تزيد من حدة الانفعالات الفجة كأنفعال الغضب الهيجاني، خاصة وانه تبين وجود علاقة بين عوارض مرضية وحالات العنف ومنها: الزهايمر/ الاصابة الدماغية/ الخلايا المسرطنة في المخ/ وامراض مثل: /delirium hormonal disorders/ multiples sclerosis/ Parkinson's/ seizure disorders/ systemic lupus erythematosus/ vitamin deficiencies

وعندها يمكن للطبيب وصف ادوية مناسبة:

2. علاج نفسي متابع

العلاج النفسي يهدف الى التأثير في كل من الافكار، السلوك، الانفعالات والاتجاهات، حيث يسعى الاخصائي نحو جعل الشخص المستطبب يغير من :

- ✓ الكيفية التي يحس فيها ويشعر
- ✓ الطريقة التي يبدأ يفكر من خلالها وفيها
- ✓ الاسلوب الذي ينطلق منه ويعمل وفقه من جديد
- ✓ المنحى الذي يجب ان يتبعه مجدداً ليعود الى حظيرة الاخرين
- ✓ الكيفية التي يحصل فيها على تبصر جديد في الحياة
- ✓ المنهجية التي يكتسب فيها مهارات جديدة تمكنه من التعامل مع معطيات الحياة

3. علاج سلوكي

وهدفه إحلال سلوك جديد مقبول اكثر صحة وسوية بدلا من سلوك سئ التكيف من خلال جلسات (قد تستغرق خمس وعشرين جلسة) منها:

- تبديد منتظم للحساسية السيئة المتحكمة
- التدريب على الاسترخاء واكتساب المهارات
- تعزيز اجتماعية الفرد وتقريبه من الاخرين
- تقديم النماذج المحببة الى نفس المريض والتي يجب ان يحتذى بها
- الاهتمام بتبديد النوايا المتصارعة
- التشجيع والتدريب على مواجهة الواقع
- العمل على بناء علاقات ترضي طموح المريض
- تحوير السلوك وتطويره نحو الافضل

4. علاج اسنادي:

وهو يطلق على ذلك النوع من العلاج النفسي الذي يقدّم للفرد اواليات تتعلق بتأكيد الذات والتعاطف واعادة التأهيل والتربية بهدف اعادة اعلى مستويات العمل الوظيفي في الحياة الى شخصية « المرفوض» وذلك من خلال تقنيات ابرزها:

- تعليم مهارات ذات علاقة بالتفاعل الاجتماعي
- العمل على حل المشكلات من خلاله وليس بالنيابة عنه
- مساعدته على مواجهة المواقف الصعبة الضاغطة في الحياة
- غرز الثقة بالنفس
- تبيان الحدود بين الفعل السوي وغير السوي.

في بيت يسوده الغياب العاطفي، يتجاهل الأبوان مثل هذه الأشياء فحتى إذا لاحظ أحد الأبوين أو كلاهما إنجازًا جديدًا

حققه الطفل فغالباً يكون ذلك ممزوجًا بمشاعر نفاد الصبر، على الرغم من أن الطفل الذي يتعلم المشي لأول مرة لا يحتاج منهما سوى بعض الانتباه والاهتمام وعندما يتعرض الطفل للعنف العاطفي، لا يمكن حل المشكلة بنجاح بالتعامل مع الطفل وحده. فما إن يدرك الأب أو الأم أن أسلوبهما في التعامل مع طفلهما غير سليم، فإن ذلك كفيل بأن يجعلهما يشتركان مع الطفل في العلاج."

إن الأطفال الذين يتعرضون للعنف العاطفي من قبل آبائهم يتصورون أنهم يستحقون مثل هذه المعاملة». كما أن صمت وسلبية الكبار من الأقارب وغيرهم يقوي هذا الإحساس لدى الطفل. فيشعر أنه بالفعل فاشل وجبان.

4- العنـف الكلامـي، قـد يأخـذ عـدة اشـكال مـن الاسـتهزاء والتجريـح والتوبيـخ بألكلـمات النابيـة بمـا يقصـد بـه تحطيـم الـذات وتصغيرهـا أمـام الأخـر والأنـا، ويعتـبر هـذا العنـف مـن اقسـاها

ايلاما لما يتركه في الذات من اذى نفسي قد يستمر سنين دون ان يطيب، لهذا يدرجه السيكولوجي اللبناني مصطفى حجازي عند تحليله للديناميات النفسية لحالة الهدر الانساني، ضمن ما يسميه بـ الاهانة الوجودية، « فالهدر من حيث التعريف اعتداء غير مستحق يتخذ طابع الظلم وعدم الانصاف من قبل شخص ظالم او مؤذ او على الاقل غير منصف، والهدر بهذا المعنى يشمل تهديدا وجوديا للقيمة والاعتبار الذاتيين»[(14)] وبهذا المعنى نفهم الغضب والعنف كأستجابة للهدر حيث يحاول الانسان المهدور ان يحطم مرآة ذاته المبخسة ونفي القيمة عن ذاته ومع انتقاص القيمة والدلالة والمكانة يتشكل نوعا من الاكتئاب الوجودي (استجابة للهدر والخسارة)، ومع تسليم الفرد بأنتقاص المنزلة والقيمة تنمو لديه هوية الفشل بدل هوية النجاح ويستبع ذلك تصعد الندم والخجل والحقد على الذات وصولاً إلى جلدها أو حتى تحطيمها.. وغالبا ما يتسرب العنف في هذه الحالة من

قبل المعنف اما نحو الاخر بالايذاء والتخريب والتعدي كمحاولة للتشفي والتبخيس والتفنن في النيل منه كلاميا ومعنويا ورمزيا واما نحو الانا عبر القهر والعدوانية وافتعال الازمات والصراعات كتصريف للحقد والغضب المحتقنين.

- في دراسة ميدانية أجريت العام 1992 عن القسم المتوسط في مدارس لبنانية تبينت المعطيات التالية :
  - ❖ 39 % ضربوا بالمسطرة على ايديهم
  - ❖ 26 % شدوا من شعرهم وآذانهم
  - ❖ 20 % تلقوا صفعات على وجههم
  - ❖ 45 % من طلاب القسم الثانوي تلقوا شتائم وكلمات جارحة وتوبيخ من الأستاذ والناظر والمدير
  - ❖ 26 % من الطلاب يعتقدون بأن الاستاذ يعاقب دون ان يتأكد من هو المذنب الحقيقي
  - ❖ 49 % من التلامذة رأوا ان الاستاذ هو الجلاد الذي لا بد منه من اجل مصلحتهم

وقد أشار عدد من الباحثين في علم النفس أمثال HIGGINS,RHOLES & JONES (1977) الى ان من يحمل في ذكرياته من مراحل العمر الاولى كلمات كانت تقال له مثل: طائش/ متهور/ مغرور/ نزق/ عنيد ومتصلب الرأي.. يترك لديه انطباع بأنه انسان "غير محبوب" (مختلق) لانهم يصورّنه على إنه إنسان "متعجرف" (arrogant) إو شخص سلبي لديه احتمالات الفرص بأن يكون خطيرا.. في حين تبين عكس ذلك بأن الانسان الذي يتلّقى منذ صغره كلمات الثناء والتحفيز والاطراء والمبادرة والمسؤولية والمثابرة ولا يزال يحتفظ بها في ذاكرته فأن مثل هذه التوصيفات تهيئ ولا شك – كما اثبتت التجربة- نحو شخصية موزونة ومقدامة وتتمتع بأنطباعات طيبة عن ذاتها. وقد يتساءل البعض هنا: ما علاقة الكلمات (أو الأوصاف السلبية أو الإيجابية التي كانت في الصغر) بالذاكرة وبالتصرفات لآحقا؟ صحيح ان الكلمات هي

مجرد افكار وانما تبين بالابحاث البيولوجية ان احد اقسام الدماغ مسؤول عن حفظ الافكار في المنطقة الامامية من المخ، ومن شأن عمل هذه المنطقة في الحفظ (التخزين) ان يؤثر في حركة تفكيرنا تجاه الأشياء أو الأشخاص بناء على ما لدينا من افكار عنه، فأذا كانت تلك الأفكار المخزنة إيجابية فبالطبع سينعكس ذلك على سائر تفكيرنا وهذا يعني بمكان ما بأن تواصلنا تجاه الآخر محكوم بما لدينا من أفكار مخزونة عنه.[15]

5- العنف الاجتماعي (النبذ/ الاقصاء/ الرفض/ اللامبالاة)

تضاربت الآراءُ حول أصول العنف الاجتماعي، بين قائلين بغريزية العنف وبين قائلين بأنه صفة مكتسبة وتعود جذور الخلاف بين المنظِّرين والعلماء إلى عصر النهضة؛ ثم إلى الخلاف بين المناهج التقدمية التي كانت تقول إن «الرذيلة» هي نتاجٌ للظروف الإجتماعية،

وبين المناهج المحافظة التي حاولت أن تثبت أن التنافس بين البشر يعود إلى غريزة متأصِّلة لصالح كمون العنف في أعماقهم. إلا أنه في بداية القرن الفائت تمَّ التوصل عبر منجزات التحليل النفسي الفردي (فرويد) وعلم النفس التحليلي التجريبي (يونغ وفروم)، إلى حسم الصراع، ليَثبُت بالتجربة أن العنف ينقسم إلى نوعين:

أ. العنف الدفاعي: ويشترك فيه الإنسان والحيوان؛ وهو عنف غريزي يهدف إلى الحفاظ على النوع.

ب. العنف الخبيث (حب الإفناء): وهو عنف يختص به الجنس البشري؛ وتتدرج فيه السادية وحبُّ الموت والتدمير. وهذا النوع من العنف مكتسب حتمًا؛ إذ من الممكن إثارته والتأثير عليه سلبًا أو إيجابًا بواسطة العوامل الثقافية. والعوامل الثقافية التي تؤثر في العنف الاجتماعي «الخبيث» هي:

- الظروف الاجتماعية المحيطة (الإحباط الاجتماعي)

- الثقافة المكتسبة عبر مراحل الحياة المختلفة (تجربة التعليم بالتعذيب)

ويتفق علماء النفس على أن الدوافع المكوِّنة للشخصية الثقافية ترتكز إلى عامل الحرية وتحقيق الذات أساسًا. وتتفق التجارب في مجال علم النفس التجريبي على أن الإحباط والقهر وقمع الحرية هو الأساس في الاغتراب والعنف الاجتماعيين.. كذلك يتفق الباحثون في علم الاجتماع على أن العنف الاجتماعي يتخذ أشكالاً متنوعة، مباشرة وغير مباشرة، خفية ومعلنة. وإن ثقافة العنف داخل المجتمع ما هي الا تأسيس للهزيمة أمام العدوان الخارجي، حيث الى جانب إلى تعنيف المجتمع وقهر ابنائه بالنبذ والإقصاء والكبت، تأخذ ثقافة العنف بالترسخ على منظومة فكرية مركزية عقائدية وأخلاقية تستند إليها. وتنطوي ثقافة العنف على جملة من العُقَد الاجتماعية، نحاول تحديدها بما يلي:

1) عقدة النقص من فقدان القدرة على المواجهة:

الخوف من شرور الآخرين، الخوف من عدم التكافؤ الاجتماعي، الخوف من السلطة المنشغلة والمهمِلة لفردية الإنسان.

2) عقدة العار: فالإنسان، في ظلِّ ثقافة العنف، يخجل من ذاته؛ يعيش حياته عارًا وجوديًّا متأصلاً. وهو في حال دفاع دائم من احتمال افتضاح أمره وعجزه وبؤسه. يقول: "الله يستر على حريمك!" فـ"السترة" هاجسه المرضي، يخشى أن ينكشف، فلا يصمد أمام الحقيقة.

وللتستُّر على عقدة العار الناجمة عن ثقافة العنف؛ يسري العنف ادِّعاءً وتبجحًا وخداعًا، لينتهي إلى قلق وإحباط وسوداوية شاملة، تتكرَّر فيها مأساة الوجود وضعف الإنسان حتى ينفجر التراكم الداخلي في الشخص ضدَّ شخص آخر أضعف، يخترعه ليحمِّله وزر قهره. فالإنسان الذي ينشأ في مجتمع

العنف، لا يفهم إلا لغة العنف ولا يكون لديه ردٌّ إلا بالعنف.

... بين قهر التقاليد، وقهر الأسرة والعشيرة، والقهر الاقتصادي والسياسي، ترزح شخصية الفرد العربي تحت عنف شامل يمنع تفتحها ومجابهتها لحقائق الحياة والوجود. تنتج لدينا ذهنيةٌ متصلِّبة، محدودة الأفق، وشخصيةٌ مفكَّكة يتوّلد فيها انكفاءً على الذات وارتدادٌ إلى الماضي وتمسُّك بالتقاليد، حتى تكاد ثقافة العنف تبدو جزأً من طبيعة الأمور. لتغدو علاقة الفرد بالمجتمع يشوبها التناقض بين أمل أسطوري وإحباط تاريخي.

إن الوسيلة الدارجة في مجتمع العنف هي توجيه العدوانية نحو الخارج عبر التعصب الطائفي أو العرقي أو الديني. ويصير الأمل الأخير للفرد المقهور منصبًّا على منقذ موهوم، يُلبِسُه كلَّ الصفات المضادة لضعفه، وسرعان ما يرتد عنه

كفرًا وعنفًا مضادًّا، ليغرق في دوامة جديدة من العنف. ولعل موقف الإنسان في مجتمع العنف من القانون يعطينا فكرة عن تفكُّك شخصيته، حيث لا يكون الاعتداء على القانون محرَّمًا، بل يكون خوفًا من العنف! فالقانون لا يُفرَض إلا على مَن لا يمتلك القدرة على خَرْقِه. ليس هناك احترام للقانون، بل رضوخ وإرغام – ولك أن تخترق القانون إذا استطعت أن تنفد بجلدك! فإن ضعفتْ سلطةُ القانون، وتراجعتْ قدرةُ المجتمع على فَرْضِه، ينفجر العنف انفجارًا مذهلاً، وتنفجر العدوانية الكامنة، ويتعمَّم الاعتداء عليه وتستباح الممتلكات دون مراعاة للمُواطَنة والجيرة والمشاركة أو الانتماء أو حقوق الإنسان.

وهكذا يظهر العنف الاجتماعي :

- ✓ نتيجه لمجموعة من العوامل التي تضغط على الفرد وتعمل على تقليص قدراته في توجيه سلوكه بصورة ذاتية
- ✓ أو نتيجة لعجزٍ عن تقبل الضوابط والأحكام في مجتمع

- ✓ متأزم ومن نتائج هذا الوضع أن يصبح الفرد غير قادر على ضبط ذاته ويميل إلى التمرد والتهكم كما يتسم تفاعله بالخشونة والقسوة على الأصعدة كافة،
- ✓ يُرتكب لدفع مخطَّط اجتماعي معيَّن قُدُماً، مثل الجرائم التي ترتكبها جماعات منظَّمة بدافع الكراهية والحقد والأعمال الإرهابية وعنف الغوغاء.
- ✓ وهو يختلف عن العنف المجتمعي من خلال ان الأخير سببها الحاجة اوالعوز واسباب اخرى شخصية ولكن العنف الأجتماعي عنف منظم تقع خلفه اسباب انتمائية..
- ✓ كما يمكن فهمه على انه بمثابة تعصُّب انفعالي في محاولة لإجبار الآخر على الخضوع.

إن ثقافة العنف الاجتماعي تندرج في أرجاء مجالات الحياة كافة، في العمل كما في التدريب والتعليم، وفي العلاقة مع الجار

والابن والأب والزوج والأخت. فإما أن تكون متسلِّطًا وإما مقهورًا وغالبًا ما يكون الاثنين معًا، رازحًا تحت هرم من العنف الهائل. جبرية وقَدَرية تسود أرجاء الحياة كلَّها: فأنت إما «مع» وإما «ضد». وأول ما يتركز هذا الواقع في الأسرة مع التربية: فالأم الجاهلة بأوليات التنشئة، المقهورة أصلاً بالعنف التاريخي الواقع عليها منذ الولادة، لن تستطيع أن تكون إلا حاضنة لثقافة العنف. إنها تشترك مع الأب في نقل نظرة خرافية إلى العالم لأولادها. والوالدان ـ والأقرباء عمومًا ـ لا يجيبون عن أسئلة الطفل، بل يُغرقونه في التخويف والكذب؛ يكذبون عليه حتى لا يشرحوا له أو يغطوا جهلهم بتخويفه، ولا يتورعون عن تهديده بالنار والحساب ليبثوا أعنف المخاوف البدائية لردعه حتى عن أكل فتات خبز وَقَعَ على الأرض.

أنه عنف ثقافي لن يجد الطفل ـ مخرجًا منه إلا بعنف مقابل. فبين قدسية الأبوة وحرمة الأمومة يسقط الطفل بأسم «الطاعة»

مهشَّمًا تحت وابل الأوامر والنواهي، فينشأ لديه نظامٌ لمفاهيم الحياة قائمٌ على التسلُّط والعنف والاعتباط. كما هو الحال في بعض المناطق الفقيرة والعرقية المتوترة حيث نلاحظ كيف ان الاطفال يتعرضون وتحت وطأة الفقر والتمييز إلى الخطف من المدارس أو الشارع والبيوت للتجنيد القسري وآخرون ينضمون «قوى مسلحة» بسبب اساءة المعاملة او السعي للثأر بسبب العنف الذي تسلط عليهم وعلى اسرهم.

6- العنف الاعلامي: هل يوجد فعلاً شئ اسمه عنف ناتج عن وسائل اعلام؟ هل يمكن لأفلام التلفزيون وألعاب الكومبيوتر أن تعزز او تزرع بوادر عنفية عند الاطفال؟ للاجابة على ذلك اجريت العديد من الدراسات والبحوث لتقييم آثار الاعلام المرئي على الاطفال وانعكاسات ذلك، وتوصلت إلى أن تواتر العنف في برامج التلفزة اصبح مدعاة للقلق في جميع الأوساط

الاجتماعية. وتعرف هذه الدراسات العنف بأنه استخدام القوة الجسدية او التهديد بأستخدامها ضد النفس وضد الاخرين وما ينتج عن ذلك من الإيذاء الجسدي. وفي هذا السياق أظهرت دراسات عديدة أجريت على مدار عشرين سنة عن وجود رابطة قوية واضحة في (75 %) من الحالات بين مستوى العنف في برامج تلفزيونية (وخاصة الكرتونية) من جهة وبروز النزعة العدوانية بين الاطفال من جهة ثانية .

تشير الابحاث المتخصصة بأن الطفل لا يتعلم سلوكا جديدا من وسائل الاعلام ولكن السلوك العنفي له قابلية وأحتمال كبير لكي يُكتسب ويجري تعلّمه من هذه الوسائل..لان تصوير وابراز صور العنف بشكل شيّق يحقق الكثير من الاجواء التي تهيئ وتدعم ما يعرف بالتعلم العرضي. ولكن كيف يظهر العنف في الاعلام وتاليا على الاطفال؟

باتت كثير من الوسائل الإعلامية مشحونة بمحتوى إعلامي

عنفي لا مثيل له فهو يوميّا يبرز صوراً للقتل والانفجارات والصراعات ومآسي البشرية.. ويلعب الاعلاميون على وتر الاثارة لأحراز سبق صحفي مميز عبر جذب المشاهد ليركز على مشاهد مؤلمة ولو اقتضى نقل صور اكثر فظاعة بغية احداث نوعا من الصدمة الادراكية.. ازاء التكثيف المرئي لمشَاهدْ العنف الصاخب هنا وهناك تترك عند عالم الطفولة البرئ نوعا من القلق والخوف ويمكن ان يتحول الى اضطرابات نفسية تؤثر على شخصية الطفل فضلا عن ما يقدم اليه في قوالب طريفة من المغامرات الخيالية في العاب ورسوم متحركة وافلام سينمائية يتضمن محتواها مشاهد عنف وقتل ودمار وكل ذلك يقدم من قبيل التسلية والترفيه والمرح(*).

وعليه يتساءل التربويون هل يمكن أن نضمن بأن تلك المؤثرات المرئية والصوتية في الصورة المشوقة والجذابة لن يكون لها تأثيرات سلوكية وعاطفية؟ على ذلك تشير الدراسات المعنية

بأن الرسوم المتحركة المتعلقة بالعنف والجريمة ونظراً لاتسامها بعنصر التشويق وتقديمها عبر شئ من الإثارة كفيلة بتعليم الأولاد العنف عبر سلوكيات غير محمودة قد تؤدي إلى عنف ومنها: السرقة/ الكذب/ الاستهتار بالقيم/ ترويج لتصرفات وكلمات بذيئة /...

تكمن مآثر العنف الإعلامي في أن غالبية ما يُقدم ويُعرض من إشارات تمثيلية للضرب والقتل والتخلص من الخصم وقتل الآخرين تجعل الطفل في حالة من التبلد الذهني .. يعقبه فرح عارم بأنه ربح ..فلا يعود لموضوع القتل اي اعتبار بل على النقيض يقدم اليه الفرح والمتعة فينجرف بعواطفه نحو «اللامبالاة» فيسرق ويقتل ويؤذي ويتمرد ويعنّف.. بأعصاب باردة، وهنا مكمن الخطورة: ان تتحول اللذة الخيالية (الافتراضية) الى الرغبة باللذة الحقيقية.

خامسا : نظم الحماية

كيف نحمي اطفالنا؟

«لا اهتمام يجب ان يعلو فوق الاهتمام بالاطفال»، بهذا التوجه قرر الباحثون والاخصائيون الاجتماعيون العمل به، بعدما اخذت تزداد كل سنة الحالات المسجلة عالميا عن العنف اللاحق بالاطفال، ولعل ما يظهره الاعلام عن حالات قاسية ومؤلمة بحق الطفولة في اكثر من دولة دفع المعنيين الى المباشرة بوضع سبل وقاية كي تحميها من التعنيف والايذاء والاساءة. وتعتبر شرعة حقوق الاطفال من اهم الانجازات التي اقرتها منظمة الامم المتحدة كمحاولة للحد من ظاهر العنف المقلقة بحق الاطفال، ولكن هل شرعة حقوق تكفي للحماية؟ هل هي كفيلة فعليا في الحد من مظاهر العبث والقهر والاستغلال والاساءة للطفولة؟

لا يمكننا التكهن او الجزم في ذلك، ولكن يُظهر الاهتمام الدؤوب من قبل الهيئات الاكاديمية والجهات الحكومية والجمعيات الاهلية ووسائل الاعلام عن مدى الوعي بمخاطر هذه ألافة وضرورة العمل على كيفية الخروج منها وصولا نحو مستوى لآئق من العيش الكريم للاطفال. وفي هذا السياق نرى ان معالجة الازمة – الآفة يبدأ من معرفة الاسباب والظروف التي تحيط بعالم الطفل والعمل على تغييرها، فبعض الخبراء ارتأى اعادة النظر في مكونات الطبقة الاجتماعية التي ينشأ فيها الاطفال المعنفون، واعادة النظر ايضا في طبيعة الثقافة السائدة والظروف التي تحول دون تنشئتهم بشكل جيد، كما يجب الا يغفل عن الحاجيات الصحية والتربوية والترفيهية المفترض تقديمها ومتابعتها بشكل دوري للتأكد فيما اذا كانت تتم بشكلها الامثل ام لا؟ مثل هذه النظرة الشمولية والمفترضة لمعالجة وقائع العنف على الاطفال تنطلق من مبادئ الشرعة الدولية لحقوق

الانسان والطفل، التي كرست بدورها وبتوجهاتها «سبل حماية وحقوق وواجبات» من الوالدين وافراد المجتمع ازاء هذه الشريحة

1 ـ الاجراءات العلمية

كذلك على المعنيين بمعالجة حالات العنف ان يكونوا فعلا على دراية علمية واعية بكل السياسات التربوية والاطوار النفسية الخاصة بالنشوء عند الاطفال، مثال الاخصائي الاجتماعي الذي يتدخل مهنيّاً في أوضاع الاطفال السيئة عبر رصد مختلف الجوانب الاسرية والاجتماعية والنفسية وتسجيل وقائع ما يحصل عليهم في تقارير موثقة وتحليلها ومن ثم تقديم وجهة نظره الآلية اللازمة لحمايتهم من العنف الحاصل وفق الخطوات التالية :

1. Referral and recognition
2. Immediate protection
3. Planning the investigation
4. Investigation & assessment
5. Child –protection conference
6. Decision making about the need
7. Comprehensive assessment & planning & implementation
8. Implementation ---- review---- de registration

لأن التوجه الحديث في مناهج العناية بحالات العنف ضد الأطفال والتدخل الإجتماعي يقضي بإجراء دراسة معمقة لكافة نواحي الحالة المعنفة، فقد يتطلب الأمر أن يتناول الأخصائي حالة الأطفال أولاً ثم الأهل تالياً أو حالة المربيّن ثالثاً فالمعلمون رابعاً وأفراد آخرون معنيون كالأصدقاء أو المقربون بعد ذلك. وهكذا لا يتوانى العاملون الاجتماعيون اليوم عن رصد كل المظاهر المسيئة للأطفال عبر النظر في شبكة متواصلة ومتكاملة

للظروف والأسباب ومن أقتراح شبكة من الأجراءات الخاصة لحماية الأطفال من العنف عبر تقدير الأطر المناسبة للحماية والأجراءات المفترضة للوقاية.

وعلى الطالب المتخصص والمهني المتدرب وفي سبيل النجاح بمقرراته الأكاديمية أن يلّم بما يحدث فعلياً من أزمات وتكوين خلفية نظرية ومنهجية كي يخرج إلى سوق العمل "كمتخصص" في التشخيص والتحليل والمعالجة، كما يفترض به أن لا يكون فقط على دراية بكافة الأمور المتعلقة بظواهر العنف ووقائعها ولكن من المهم أن يعي الأبعاد النظرية والأطر المنهجية في عمليات الكشف وإقتراح سبل الحماية، قد يبدو ذلك صعباً للوهلة إلا أنه مع التدريب والممارسة يمكن أن تتذلل الصعوبات، خاصة مع مباشرة العمل بشكل فعلي مع معنيين بعالم الطفولة وإجراء ورشات عمل وجلسات تدريب موجهة للأمهات أو للمدرسيّن أو للحاضنات ولقادة الكشافة وغيرهم. لتعريف هؤلاء بمتطلبات

الطفولة واطلاعهم على آخر الاسس العلمية الصحيحة في الرعاية لجهة الاشارة والتوضيح ب :

1. الحاجات التطورية والنمائية وتشمل :

a) الجوانب الصحية الاولية

b) الجوانب التربوية

c) الجوانب العاطفية

d) الجوانب الاجتماعية

e) الجوانب الترفيهية

f) الجوانب النفسية والشخصية

2. القدرات الوالدية

a) مفاهيم معاصرة في اسس الرعاية

b) سبل الحماية

c) تطوير العلاقات الحميمية

d) سبل التنشيط

e) التوجية والارشاد

3. المهارات الذاتية :

a) تعزيز الاستقلالية

b) تدريب على المسؤولية

c) تنمية الذات بالقيم

d) تدريب على حل النزاعات

وفق هذه المنطلقات يسير المعنيون بالدراسة والبحث نحوالاطفال والأُسر بالمعلومات والانشطة في محاولة للاجابة على الاسئلة الرئيسية التي تدور في خلد المربون مثل:

- ✓ ما هي احتياجات الطفل الفعلية والاساسية ؟
- ✓ هل الاهل مهيأون لتأمين هذه الاحتياجات ؟ (هل الطفل يتلقى العناية والاجواء العاطفية الصحيحة..)

- ✓ هل ينمو الطفل في بيئة عائلية واجتماعية سليمة (خالية من التوتر والانزعاجات) ؟

ذلك انه: حيث لا يوجد اهتمام فعلي واشباع وافي... يوجد دائما طفل بحاجة، وعملا بهذا الافتراض يمكن التحرك لمعرفة اي اهتمام يجب ان يكون وأي اشباع لا يتم بشكل كاف؟ وعلى ضوء ذلك توضع «خطة العمل» في التوجية والارشاد وبناء الاسرة المستقرة الخالية من التوتر والعنف بالخدمات المقررة وهي بدورها ثلاث انماط:

1) الخدمات التدعيمية:

وتمثـل خـط الدفـاع الاول بأعتبارهـا تهـدف الى تخفيـف التوتـر الناشـئ في العلاقـة بـين الوالديـن والاطفـال وغالبـا مـا تتـولاه عيـادات متخصصـة تعمـل عـلى تعديـل علاقـة الطفـل بالاهـل وصـولا للتكيـف النفـسي الاجتماعـي (وقـد

يقوم اخصائي خدمة الفرد بالاشتراك مع غيره من المتخصصين كالطبيب النفسي من اجل تقويم الظروف التي قد تؤثر في علاقة الطفل بأفراد محيطه) اما كيف يمكن تنشئة اولاد رائعين بعيداً عن العنف ، فثمة نصائح تقدم للمربّي في هذا السياق كدعم نفسي ومنها:

أ) اغدق عليهم بالحب: ربما يقول الاهل «ان هذا الامر بديهي» ولكن هل هو فعلا بديهي؟ الاطفال لا يشاطرونك الرأي فأعتقادهم بأنهم غير محبوبين من اهم الاسباب التي تدفعهم الى السلوك السئ وفي المنازل التي يسودها الحب يشعر الاولاد بالامان ويضعون ثقة اكبر في والديهم وبالتالي في انفسهم.

ب) نمّ تقدير الذات لديهم، لن يحقق الاولاد اي تقدم في الدراسة او المجتمع ما لم تكن مشاعرهم ايجابية

تجاه انفسهم واذا شعروا بأنك غير مؤمن بمقدرتهم الانجازية فأنك لن تحصد منهم سوى الاخفاق. لذا فليحاول الأهل تقدير الذات لدى ابنائهم حيث من شأن ذلك ان يجعلهم قادرين على الابداع والانطلاق

ج) وفرّ لهم فرصا للتحدي، الاطفال الذين ينجحون هم الذي يتلقون التشجيع على ما يبذلونه من جهد، هم أؤلئك الذين يتلقون دعما لخوض تجارب غير مألوفة لديهم، هم الذين يعلّمهم ذووهم اعتبار الاخطاء فرصا للتطور والنمو. (شجع اطفالك على تحديد اهداف تلائم ميولهم لا أحلامك)

ح) اصغ اليهم، الاصغاء المتفهم الكامل هو ليس ذلك الارهاب النفسي الذي تمارسه كي يستمعوا اليك بل ربما هو افضل هدية حب تقدمها لأولادك

عندما تخصص لهم بعض الوقت.. لا تتوقع مشاركة

صادقة منهم عندما يكبرون ان لم تكن قد ارسيت فيهم هذا النمط وهم صغارا.

د) توقع منهم الاحترام: كي يبذلوا احتراما ويقدموه لآخر..علينا ان نبذله تجاهم، فالقول المأثور «الاخلاق تُكتسب ولا تُعلّم» هنا فيه كثير من الصحة.،

ه) ارسم لهم حدودا: انظمة السلوك الواضحة والصريحة توفر للاولاد الشعور بالامان وهم يختبرون القيم والانماط الحياتية المختلفة..الاولاد بحاجة الى حدود كي ترسم لهم والحدود في قاموسهم تعني الاهتمام والمعرفة.

و) ساعدهم على تنمية حسهم الاجتماعي، يُظهر بعض الاولاد رغبة في مساعدة الغير واهتماما بقضايا انسانية، واذا ما نمينا فيهم هذا الاهتمام نكون قد قطعنا شوطا بعيدا في تنشئة مواطنين اصحاء

يعطون اكثر مما يأخذون.(هل تصورت مثلا اطفالاً يحاضرون عن مخاطر المخدرات لأترابهم، او يعطون دروسا وتوجيهات حول اهمية الحفاظ على البيئة، او ينظمون حملات لجمع الالبسة والاطعمة للمحتاجين ..بالتأكيد من يفعل لديه رصيد من الثقة بالنفس والمعنويات المرتفعة)

ح) اجعل الايمان جزءا من حياتهم، مراعاة مبادئ الدين وتعاليمه في البيت والجماعة امر هام، اذ يجعل الاولاد يدركون تدريجيا معنى التقاليد الصالحة لمسار حياة ذات معنى.

2) الخدمات المكملة :

وهي خط الدفاع الثاني لرعاية الطفولة وتتمثل في شكل برامج تأمين او مساعدات مالية للمحافظة على استقرار

دخل الاسرة. فضلا عن مجالات اخرى كمجال الرعاية النهارية المجانية والتوعية الاعلامية ، تقدم هذه الخدمات كجزء من التكوين الاجتماعي للاسرة والمساند لها في الوظيفة والمسؤولية (تبرز اهمية الخدمات المكملة حينما يتعطل الدور الابوي عن تأدية وظائفه بصفة موقتة كالهجر والطلاق والسجن والمرض، وفي هذه الحالات تأتي الخدمات هنا لمواجهة خلل يحدث في مسار الاسرة الطبيعي)

3) الخدمات البديلة:

اذا فشلت الاسرة الطبيعية او حدثت لها ظروف طارئة تحول دون استمرارها كتشتّتها نتيجة الكوارث والحروب والتيّتم وعجز الاباء عن القيام بدورهم او عند وجود اولاد غير شرعيين (ظاهرة اللقطاء) تفرض على الطفل المحروم كليا «الرعاية البديلة» بسبب عدم توفر

اسرة كاملة تعمل على اشباع حاجاته الاساسية. وغالبا ما يأخذ هذا النوع من الخدمات طابعه القانوني كما في حالات سلب الولاية لتعذر الام والاب عن الاهتمام بأولادهما لأسباب تتعلق بأمور جرمية (سجن/ توقيف/ سفر/ جنون) حيث تتولى عندها الجهات الامنية والقضائية وبالتنسيق مع دور رعائية استقبال الاولاد في حضانات دائمة او مؤقتة.ويمكن بشكل عام تقسيم أشكال الرعاية البديلة للأطفال إلى قسمين:

1) النماذج التقليدية التي تتضمن:

- نظام التبني Adoption: وهو نظام يقوم على نقل حقوق وواجبات ومسؤوليات الوالدين الطبيعيين في رعاية الطفل إلى أشخاص آخرين سواء كانوا أفرادا أو أسرا.
- نظام الأسر البديلة Foster family: أو نظام

الوصاية حيث يوضع الطفل مع أحد أفراد أسرته أو أقربائه أو أي شخص آخر وفق ضوابط ومعايير معينة.

- نظام الرعاية المؤسسية Institutional care: حيث يوضع الأطفال في مؤسسات أو مراكز متخصصة (سواء كانت حكومية أو أهلية أو خاصة) لتوفير الرعاية الدائمة أو المؤقتة لهم وفق معايير محددة من قبل الجهات المسؤولة

2) النموذج العلاجي treatment models: الذي يعتمد على قيام مجموعة من المتخصصين في مجالات الرعاية الاجتماعية بتوفير الرعاية اللازمة لعدد محدود من الأطفال (6 - 10) في منزل (دار) مخصص لهذا الغرض، وفق ترخيص صادر من الجهات ذات العلاقة.

وجدير بالذكر إلى أن جميع أنظمة الرعاية البديلة

3) للأطفال تواجه بعض الصعوبات والمشكلات التي تجعل من الصعب على الجهات المسؤولة الاختيار بينها، كما أن عملية اختيار النظام المناسب للرعاية البديلة يعتمد بدرجة كبيرة على عوامل عديدة من أهمها:

- ❖ خصائص الطفل البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية.
- ❖ وجود معايير دقيقة وواضحة لاختيار النظام البديل المناسب.
- ❖ وجود معايير دقيقة وواضحة لعمليات الإشراف والمتابعة
- ❖ توفر الدعم المادي والمعنوي والخدمي في المجتمع المحلي.

إزاء هذه العوامل تبرز احيانا مشكلات تتطلب خدمات بديلة او مكملة او تدعيمية وهي:

I. فئة الاطفال الذي لا يمكن لاسرهم ان ترعاهم بسبب مرض الوالدين مرضا خطيرا او مزمنا ويكون الاطفال في حالة ارتباط انفعالي شديد بأسرهم ويرفضون التوجه لدور رعائية بديلة ..

II. وكذلك فئة الاطفال الذين يعانون من مشكلات نفسية او جسمية او عقلية خطيرة بحيث يمكن وضعهم في اسر / دور بديلة ويحتاجون الى رعاية مكثفة وملاحظة مستمرة متخصصة

حيث في ظل هذه الرعاية تقدم للاولاد برامج ترفيهية وتعليمية

وتدريبية مهنية الى جانب انواع اخرى من الخدمات الى تتولاها الحضانات في عمر ما قبل المدرسة ، واخرى التي تهتم بأولاد العاملين . توضيحا لذلك لو اخذنا مثلا ظاهرة الطفل المعنف وتساءلنا عن آليات التدخل وكيفية الوصول والإجراءات التي تتخذ إذا كان الطفل في خطر، نشير بأنه في كل «حالة» يتم اتباع إجراءات مختلفة عن الأخرى، وإذا كانت الحالة لا تحتمل التأجيل وكانت حياة الطفل في خطر، نعمل على:

- إنقاذه من خلال اتخاذ إجراءات سريعة للوصول إليه، ولو اقتضى الامر الاستعانة بالجهات الأمنية
- وعندما يتم سحب الطفل من أسرته، يُوضع في دور الإيواء المناسبة،
- أما إذا كانت الأُسرة غير صالحة فمن الأولى أن يذهب إلى أُسرة بديلة،

اذن يستلزم بدايةً معرفة من وقع عليه العنف الأسري ومن أوقعه وما هي الأسباب التي أدت إلى وقوعه وما هو العلاج الفوري لهذا العنف وقد يستدعى معاقبة من وقع منه الاعتداء، وردعه بالعقاب المناسب الذي يوقفه عن هذا الظلم وهذا بلا شك يتطلب تعاون الكثير من الجهات التربوية والاجتماعية وغيرها تعاوناً يؤدي إلى معرفة من يتعرض للعنف الأسري إما بوضع هواتف معلنة ومعلومة للاتصال بشكل فوري أو تكليف جهة معينة تهتم بالسؤال والتعرف والتحرّي عمن يتعرض إلى العنف. يمكن التدخل لعلاج العنف الاسري عبر مجالات عدة ابرزها:

*المحور الاول: من خلال دور الاسرة ب:

a. الحد تدريجيا من استخدام العقاب البدني للأطفال ومحاولة الوصول إلى طرق أخرى للعقاب بدل من الضرب كالحرمان من الأشياء المرغوبة للطفل علي

إلا تكون من الأشياء الأساسية.

b. أن يقوم الزوجان بحل مشاكلهما فيما بينهما بعيداً عن الأبناء بحيث لا يشعرون بأي جانب من جوانب العنف داخل المنزل.

c. ان يوفر الزوج الاحتياجات الأساسية للزوجة والأبناء وهذا يحلّ جزءاً كبيراً من الخلاف الأسري الذي يولد الكراهية والبغضاء والعنف الأسري وتجنّباً لأن تقع الأسرة في دوامة من الخلافات والمشاكل،

d. أن يجتهد الوالدان أيضاً على أمر الصحبة الصالحة لأبنائهما وتحذيرهم من الرفقة السيئة ومتابعة أبنائهما متابعة جيدة من أجل توجيههم التوجيه السليم وتربيتهم تربية قويمة

e. حسن استخدام الألفاظ في المنزل فيحرص الوالدان

على الكلمات الطيبة والتعامل الحسن وان لا يدخل الوالدان إلى المنزل أي أداة من الأدوات التي تؤدي إلى العنف الأسري كأفلام العنف والمجلات أو الصحف التي تحض على العنف أو غيرها من الوسائل التي لها تأثير سيئ على الأبناء

* المحور الثاني: دورالجهات الرسمية والاهلية

a. العمل علي تكوين مؤسسات تهتم بشؤون الأسرة اوالمعنفين على ان يكون بهذه المؤسسات أخصائيين اجتماعيين وأخصائيين نفسانيين قادرين على العلاج النفسي وقانونيين للعمل علي توضيح الحقوق القانونية للمعنفين والدفاع عنهم ومرشدين تربويين يعملون على نشر الوعي بين الأهل لأهمية استقرار الأسرة

b. العمل علي الإقلال من الضغوط التي تقع علي عاتق

الفرد والأسرة والتي تخلق الكثير من الخلافات داخل الأسرة

c. العمل علي الحد من البطالة والفقر وتوافر رعاية صحية أسرية مجانية او شبه مجانية لأفراد المجتمع.

d. تقديم استشارات نفسية واجتماعية وأسرية للأفراد الذين ينتمون إلى الأسر التي ينتشر فيها العنف.

* المحور الثالث : دور الاعلام :

يعتبر الإعلام في الخط الأول لتغيير المواقف تجاه العنف المسلط على الأطفال؛ لأهمية دوره في توجيه نظرة الرأي العام إلى مختلف القضايا، فالصحفيون والمصورون والمخرجون هم أعين وآذان المجتمع، ويتمثل دورهم الأساسي في تسليط الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان، ويستطيعون من خلال عملهم تشجيع ودعوة الحكومات على سن القوانين والتشريعات وتشجيع

المجتمع المدني على أداء دوره في إحداث التغييرات الإيجابية تجاه هذه المسائل، وهم من خلال ذلك قادرون على تنمية الوعي والفهم للحد من ظاهرة العنف ضد الأطفال من خلال:

- ✓ إثارة الاهتمام بالعنف ضد الأطفال بالسعي إلى تغطية القضية؛ بأعتبارها تهم الشأن العام .
- ✓ أحترام الحياة الخاصة للأطفال وحماية هويتهم عند تغطية القضية.
- ✓ الحرص على عدم إلحاق ضرر بالتحقيقات من خلال حماية المصادر.
- ✓ دعوة الحكومات إلى تطبيق الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل.
- ✓ دعوة الحكومات إلى إصدار القوانين والتشريعات التي تحمي الأطفال من العنف وتجرّم المعتدين وتفعيلها.

- ✓ مواجهة سوء معاملة الأطفال بالتجنب والحد من الصور والعبارات ذات الإيحاءات الجنسية، والتأكيد على أن الضحايا هم الأطفال.
- ✓ العمل مع المنظمات غير الحكومية والأشخاص المؤثرين لجمع المعلومات.
- ✓ إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن آرائهم.
- ✓ التشجيع على إنتاج البرامج والمواد الإعلامية بمشاركة الأطفال.
- ✓ التطرق إلى موضوع العنف من خلال وجهة نظر الطفل .

2 ـ الاجراءات القانونية:

كثيرٌ من التشريعات القانونية التي وضعت من أجل الطفولة تبدو نظرية (اقتراحية) أكثر منها ألزامية- أجبارية تستلزم التدخل

الفعلي لتكريسها، ذلك - وازاء حالات التعنيف المتمادية- نجد من البديهي أن تكون المعايير الالزامية مطلوبة بفاعلية اكثر، مع أشراك جميع المعنيين من اهل ومجتمع مدني ومنظمات أهلية ومحاكم وشرطة في المساهمة بحماية الاطفال من الايذاء وفق الانظمة التالية:

أ) نظام المحاكم: عندما تفرض المحاكم هيبتها من خلال النظر في القضايا المتعلقة بالعنف وأخصّها تلك الممارسة على الاطفال يصبح بالإمكان القول بأن ذلك بمثابة «توجيه رسالة اجرائية صريحة» للأهل بأن يتجنبوا فعل ما من شأنه الايذاء او الاساءة. في معظم الدول المتقدمة يقضي عمل المحاكم في اجراءاتها القانونية النظر في حالات العنف ضد الاطفال كقضية هامة لا تقل شأنا عن غيرها من القضايا حيث يأخذ القاضي في البت

بها كأي دعوى جزائية اخرى وقد يحكم عندها بما يعرف interim care: (الحماية المؤقتة) عبر تأمين حضانة بديلة لهذا الطفل ضمانا لعدم تكرار العنف الممارس عليه وتطوره نحو الاسوأ ولا يمكن ان تقوم المحاكم بهذا الاجراء الا بناء على تشريع محلي مقرر في بلد معين وبالتعاون مع السلطات المحلية النافذة لتنفيذ ما يتم تقريره (مثلا اذا ما تبين ان هناك طفل يعنّف في اسرته بناء على تقارير او معلومات او اخبار من مقربين أوجيرة، تتحرك السلطة النافذة الممثلة بهيئة حكومية وجهاز شرطة لأجراء المقتضى حول وضعية الطفل والاسرة واتخاذ القرار المناسب. وأذا ما وجد بأن البيئة الاسرية غير مناسبة على الاطلاق يقرر القاضي أرسال خبيرة أسرية او

أخصائية إجتماعية للأطلاع عن كثب على وضع الاسرة بموجب التحريات والتقارير الواردة وأستجواب الاهل ليحكم بعدها فورا بوضعه، واذا تبين له ان الاوضاع المنزلية ليست على ما يرام لنمو الطفل داخل أسرته فهنا من حق المحكمة ان تقرر جملة اجراءات محتملة منها :

* الاجراء الاول : تأمين الحضانة البديلة/ دور رعاية/ او وضعه في "الحماية المؤقتة" وهي دور ومآوى مخصصة للاطفال المبعدين عن الاهل خوفا من ازدياد حال السوء عليهم الى حين البت بمصيرهم.

* الاجراء الثاني: يحق للقاضي ان ينظر هنا في رغبات الطفل: مع من يرغب ان يعيش؟ وممن يرغب بمشاهدة اهله او اخوته ثانية؟ وذلك كسبيل لعدم حرمان الطفل من التواصل مع افراد اسرته سواءً كانوا اخوة او اهل

ولكن ضمن مواعيد وزيارات مقررة بحسب نظام الدار الرعائية، مع الاخذ بعين الاعتبار اولا واخيرا برغبة الطفل فيمن يريد ان يرى من اهله وفيمن لا يريد!!

* الاجراء الثالث: وفيما تبين ان الطفل مر بمراحل وظروف حالت دون وصوله للحاجيات الاساسية من نموه وكمال ذاته، يقضي القاضي بتعويض الطفل ما فاته وافتقده من شؤون تربوية واحتياجات نفسية وعاطفية واجتماعية وروحية وترفيهية واعطائه كافة ما لم ينله من ذويه والعمل عليها وفق الاطر للتنشئة السليمة.

ب) نظام التحقيق والتدخل: وهو عبارة عن «حق» يعطى للشرطة او مؤسسات حماية الطفولة للتدخل بشكل طارئ حالما يردها اتصال عن حالات عنف تطال اطفال، حيث تمنح بعض

السلطات المحلية (امن / قضاء/ منظمات اهلية) صلاحية عليا في العمل سريعا عند ورودها اخبار عن حالات اعتداء داخل اسرة معينة وليس على الاهل منعهم، فسلطتهم المعطاءة تعلو سلطة الاسرة وهذا التدخل الطارئ معمول به في الدول المتقدمة حتى يبلغ الولد عمر الثامنة عشر ويسري هذا النظام اذا تبين بأن:

* الطفل يتعرض لسوء معاملة او ايذاء او اساءة مباشرة ويحتمل ان يتعرض لحالات عنف جسدي مباشر

* في حال تعرض الطفل لعنف مؤذ على المحكمة ان تقوم بالاجراء المناسب تجاه اللطفل اولا، ثم تجاه الاسرة ثانية، وتقرير اين يفترض ان يبقى الطفل داخل اسرته (تحت اعين زائرة اجتماعية

متابعة) او خارجها عبر نقله الى دار رعاية متخصصة

ج) نظام الاشراف: عندما تأخذ المحكمة قرارا بضرورة حماية الطفل سواءً داخل اسرته او خارجها، فأنما يعني ذلك عمليا وضع الطفل تحت «الاشراف» فقد تقرر أرسال أخصائية أجتماعية التي تقوم بدورها بزيارات دورية غلى الأسرة المعنفّة للوقوف على أوضاعه أوضاع الطفل داخل المنزل من عدم التعرض له ثانية والنظر فيما اذا كانت تقدم كافة الواجبات والحقوق الوالدية والرعائية، ثم رفعها تقارير تبين مقدار التغير في طريقة تعامل الاهل مع الابناء لجهة المسؤولية والعناية. او قد يتم ارساله الى مكان آمن آخر لأبعاد الطفل عن الاهل فيما تبين بأنهم ليسوا على

قدر من الاهتمام والرعاية فيوضع الاطفال تحت اشراف اخصائيين تربويين وعاملات اجتماعيات ومعالجيين نفسانين لتحسين صورة الذات لديهم.

د) نظام الحماية الطارئ : وهو التدخل الفوري وبحكم الصلاحيات المعطاءة عند الابلاغ عن اية حالة عنف موجهة لطفل من قبل معنف في اماكن تواجده (منزل/ مدرسة/ نادي/ باص/ مكان عام..) دون اي تأخير ويقضي هذا لاجراء عمليا انتشال الطفل من البيئة الموبؤة لحين زوال الخطر المحدق وانتفاء مسببات الايذاء الذي يتعرض لها، وتقضي صلاحية هذا النظام:

* القيام بمحاسبة من يتعرض للطفل وفق نصوص قضائية معمول بها

* كتابة تعهد بعدم التعرض والتعنيف ثانية مما قد يضمن للطفل ميثاق خطي واذا حدث عنف بعد

كتابة التعهد يصبح الجزاء اكبر

* تحميل المسؤولية اولا واخيرا عن كل ما قد يتعرض له الطفل من سوء معاملة .

على ما تقدم من المهم في بعض الحالات تأمين الفرص الايجابية لبعض الاسر التي تفتقد مبادئ الوالدية وطرق الرعاية قبل اتخاذ قرارا بفصل الابن عنها ، اذ يمكن بقليل من الدعم لاسرة غير كفوءة في بعض احتياجاتها الاسرية او المنزلية والنفسية قد يغير من سوء المعاملة والايذاء. ومثل هذا الارشاد والتوجيه العائلي يمكن بدروه ايضا ان يغير بواقع اسرة معنفة من واقع مزر الى واقع افضل حالا ويساهم بالتالي في ايجاد بيئة ضامنة يحول معها دون فصل الابناء عنها.

3 ـ الاجراءات الاجتماعية:

طبقا لمعارف وتجارب كل زمن يتم التعامل مع واقع التفكك

الاجتماعي والأسري. فقد جاءت الأديان بمختلف توجهاتها ثم المفكرين والباحثين لتقدم إجابات أو حلولا للحد من انتشار ظاهرة العنف الاسري ومن هذه الحلول:

1- التبني: للتبني إشكالاته في المجتمع العربي وقد اعتبر البعض تطبيقه تجاوزاً على نصوص الشريعة والقانون المعمول بها، لكن رفض التبني بكليته ينحرف عن مقاصد الشرع لأن منع الشرع للتبني لا يقصد به حرمان الطفل من الانتساب إلى أسرة حقيقية أو بديله وإنما كانت الغاية فقط منع اختلاط الأنساب وعدم كسر قاعدة التوارث الإرثي وفق النسب التي حددها الشرع، وتوفيقا للأمر فقد أجاز الشرع التوريث بحدود الثلث للمتبنى وابتدع أنواعا أخرى تبدأ بالرضاع لتمكين الطفل من الغذاء

والحنان والتنشئة الأسرية وخلق وشائج عائليه بينه وبين أسرته من الرضاع وصولا إلى الحضانة والكفالة.. على أن تطبيق التبني الدائم في الواقع العربي تكتنفه إشكالات من نوع خاص ولا يمكن مطابقته أو مقارنته مع الواقع الاجتماعي للدول الأوروبية أو غيرها، إذ أن تطبيقه في بلادنا وضمن المعايير الاجتماعية والثقافية يبقى محدودا ويمكن أن يكون محصورا في الأسر التي لا تنجب أطفالا.

2 ـ الحضانة: والحضانة بالتعريف: هي الالتزام بتربية الطفل ورعايته في سن معينه ممن له الحق في ذلك شرعا وقانونا. وتعني أيضا إيداع طفل أصبح منفصلا عن أسرته، أو طفل لا يمكن تركه مع أسرته في رعاية أسرة أخرى أو فرد آخر. وهذا يعني أن الحضانة يجب أن تستند إلى معيارين:

أ) الحضانة ترتيب مؤقت ريثما يتم إعادة الطفل إلى الجو الأسري السليم بعد التغلب على المشكلة التي كانت تمنع تقديم الرعاية الأسرية المناسبة، وبالتالي يجب وضع ضوابط أكثر صرامة تجاه الانفصال الوالدي وتجاه احتضان الأطفال والمسؤولية المترتبة عليهم تجاه أطفالهم في حال حدوث الانفصال.

ب) الحضانة يجب أن تكون مراقبه ويجب متابعتها بشكل مستمر.

ج) على أن الحضانة قد تتحول من رعاية مؤقتة إلى رعاية دائمة في حال العجز عن إعادة بناء الأسرة الأصلية. ولذلك لابد من إصدار القوانين والتشريعات التي تنظم الرعاية القائمة على الحضانة، فلا يكفي أن يقرر القضاء الجهة

الحاضنة (الأب، الأم، الأقارب) وإنما يتوجب على المشرع إصدار القوانين اللازمة والمحددة لآليات التنفيذ، وتحديد الجهة أو الجهات المختصة التي يتوجب عليها المتابعة ولمراقبه وتنفيذ الأحكام.

د) وإذا كان قانون الأحوال الشخصية قد حدد الأشخاص الذين يحق لهم حضانة الطفل تبعا لعمر الطفل أو الطفلة فان هذا المعيار يبقى قاصرا ولا يحقق مصلحة الطفل الفضلى، وإنما يجب أن تترافق معه معايير أخرى إضافة إلى السن تتعلق بشخص الحاضن وأهليته للحضانة والمستوى الاقتصادي والبيئة الاجتماعية التي سيعيش بها الطفل وواجبات الأب (في حال وجوده) في الإنفاق والرعاية ومستوى وحدود هذا الإنفاق، إذ يتوجب في كل ذلك إعمال مصلحة

الطفل الفضلى في تحديد الحاضن أو الحاضنة وقدرتهما على تلبية احتياجات الطفل في البقاء والنماء والحماية.

3) الكفالة: الكفالة نوع من الرعاية البديلة لضمان حق الطفل في العيش في بيئة أسريه والكفالة عادة أشمل من الحضانة لأنها تستوعب كافة الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية سواء كانوا أيتاما أم مشردين... بينما الحضانة فإنها تضم عادة الأطفال الذين وجدوا نتيجة نزاع أو انفصال بين الزوجين. والكفالة يمكن أن تكون من شخص غريب عن الأبوين وقد يكون قريبا لهما أو غير قريب لكن يجب أن يتلازم مع الكفالة شرطين:

أ) لابد أن تتم الكفالة بقرار قضائي

ب) أن يتلقى الأطفال المكفولين المزايا الاجتماعية

والاقتصادية لأطفال الكفيل وذلك بدون تمييز، وهذا الأمر يتوجب لمراعاته - كما قلنا بالحضانة - إصدار التشريعات التي تحدد المعايير التي يتوجب توفرها في شخص الكفيل والجهة أو الجهات المسؤولة عن إجراءات المتابعة والمراقبة للتأكد من قيام الكفيل بواجباته ومسؤولياته تجاه الطفل المكفول.

4) مؤسسات الرعاية البديلة: هذه المؤسسات تقوم على رعاية متخصصة (للأيتام والمشردين واللقطاء..) وهي عادة من مسؤولية الدولة في إحداث هذه المؤسسات للأطفال فاقدي الرعاية الأبوية والأسرية، وقد تحل جزئيا بعض الجمعيات أو المنظمات الخيرية محل الدولة في تأسيس مثل هذه المؤسسات لرعاية الأطفال.

على أنه يجب دعم التوجه باتجاه إعادة الأطفال المحرومين من الرعاية الاجتماعية إلى الأسرة الأصلية أو البديلة كلما أمكن

ذلك، والدافع الذي يكمن من وراء تشجيع إعادة الأطفال لأسرة ودعمها هي أن التجربة أثبتت بانه لا يمكن لمؤسسات الرعاية البديلة أن تحل محل أسرة الطفل كما أن تلك المؤسسات ليست بالضرورة مكانا آمنا للأطفال مهما بلغت قدرة هذه المؤسسات على توفير تلك الرعاية المناسبة، لما يكتنف بعضها من مظاهر تؤدي إلى التأثير السلبي على نماء الطفل؛ لذلك فانه يجب أن يتوفر معيارين عند بحث مفهوم الرعاية البديلة وهما:

ا) تفضيل الأسرة الأصلية أو المناسبة على الإيداع في مؤسسات الرعاية البديلة.

ب) تفضيل الحلول الدائمة على الإجراءات المؤقتة.

و ثمة تساؤل يطرح في هذا السياق : هل من الأفضل رعاية الطفل في دار رعاية أم في أسرة بديلة؟ لنقرأ الحالة التالية ونتابع:

كريم في الثامنة من العمر يدرس في السنة الثالثة ابتدائي، وعلى رغم كونه الابن الوحيد فأنه يشعر دوما بالحزن الشديد والاكتئاب، تحصيله الدراسي ضعيف جدا، ولا يمكنه التركيز داخل الصف، لا يشارك في المناقشات العلمية ويتغيب عن الدروس.. فوالد كريم لا يبالي عند استدعائه الى المدرسة للبحث بشأن ابنه ووضعه الدراسي، وتبين فيما بعد ان مشكلة كريم ترجع الى وفاة اخيه الاصغر في حادث سيارة عندما كان الاب يقود سيارته بسرعة فائقة ومنذ ذلك اليوم أصبح الوالد يشعر بالذنب حيث لا يأكل الا القليل وتنتابه دوما حالات اضطراب نفسي وتوتر مما ادى الى طرده من العمل وهذا الامر جعله عنيف السلوك مع زوجته وابنه كريم. لقد هددته الزوجة مرارا بمغادرة المنزل والطلاق لكنه لم يبال ابدا ولم يعدل من سلوكه.. يقول كريم ان والده لا يحبه وانه عندما يستدعي كل مرة من قبل المدرسة يصرخ في وجهه : «لماذا لم تمت في مكانه؟ ذهب الابن المفضل وبقي الكسول ..المشاغب « ملّ كريم هذه الحالة المزرية ، فعلى رغم صغر سنه حاول مرارا الهروب من المنزل.

- هل برأيكم كريم بحاجة الى رعاية بديلة؟
- أية نوع من الرعاية؟
- كيف يمكن تحديد آاليات تدخل للأسرة وتقديم حل لمشكلة كريم

الإجابة على السؤال الآنف تضع في الاعتبار الأول مصلحة الطفل وظروفه، فدار الرعاية لا تعطى للطفل الجو الأسرى الطبيعي حيث يتجمع عدد كبير (غالباً) من الأطفال يقوم على رعايتهم عدد

من الموظفين يقومون بأدوارهم غالباً بشكل مهني ربما يخلو من الجانب العاطفي، وعزلة هؤلاء الأطفال عن المجتمع تجعل لديهم صعوبات في التكيف حين يكبرون. لذلك تزايدت المطالبة في كل دول العالم بتهيئة رعاية مناسبة من خلال الأسر البديلة على أن يتم ذلك بعناية شديدة وبعد دارسة أحوال وظروف هذه الأسر البديلة واستمرار متابعة أحوال الطفل داخل هذه الأسر بواسطة المؤسسات الاجتماعية المختصة حتى لا يتعرض الطفل لظروف غير مؤاتية. والاتجاه الحديث الآن هو إلحاق هؤلاء الأطفال بأسر بديلة على أن تتكفل المؤسسات الاجتماعية بالإنفاق عليهم، وهذا يشجع الأسرة على تقبلهم. ويتم ذلك بناءً على عقد بين دار الرعاية والأسرة الراغبة في المتابعة، وذلك بعد دراسة أوضاعها والاطمئنان على سلامتها من الناحية الاجتماعية والأخلاقية من قبل الأخصائيين الاجتماعين والنفسيين.

وقد نجحت هذه التجربة في بعض الدول المتقدمة حتى وصلت إلى توفير أسر بديلة لـ90 % من الأطفال المقيمين في

دور الرعاية، حتى حُول جزء كبير من ميزانيات دور الرعاية إلى الإنفاق على هذه الأسر البديلة. وهناك عدة احتمالات وراء قبول الأسرة لتبنى أو كفالة هؤلاء الأطفال نذكر منها:

1 ـ الاستفادة المادية من العون الذي تقدمه المؤسسات الاجتماعية لهم مقابل كفالتهم للطفل.

2 ـ حل مشكلة العقم في الأسرة باستحضار طفل يُرضي دوافع الأمومة والأبوة داخل الأسرة. وفى هذه الحالة يستخدم الطفل لحل مشكلة الأسرة وليس العكس.

3 ـ الشفقة والرحمة تجاه هذا الطفل وعدم انتظار أي مكافأة دنيوية.

4 ـ اجراءات المنظمات الدولية :

تتم الاشارة في كثير الاحيان وعند متابعة الاطر

التشريعية والعملية لعمل المنظمات الدولية بالاطفال لتعبير «حماية الاطفال» على انه: «كل ما يتم عمله لأجل بقاء الاطفال ونموهم ورفاهم» وعليه حددت اللجنة الدولية لحقوق الطفل ثمانية محاور يشتمل كل منها على المبادئ والبنود التي تتناول موضوعا محددا من موضوعات حماية الاطفال وهذه المحاور هي: التدابير العامة لتنفيذ الاتفاقية، تعريف الطفل المبادئ العامة، الحقوق والحريات العامة، البيئة الاسرية والرعاية البديلة، الصحة الاساسية والرفاه والتعليم وأوقات الفراغ والانشطة الثقافية، الا ان ما ركزت عليه توصيات اللجنة الدولية هو ما يتعلق بتدابير الحماية الخاصة بالاطفال في حالات الطوارئ والظروف الصعبة واعادة الاندماج الاجتماعي خاصة:

✓ الاطفال اللاجئون (المادة 22)

- ✓ الاطفال في المنازعات المسلحة (المادة 38)
- ✓ الاطفال المجردون من حريتهم عن طريق اي شكل من اشكال الاحتجاز او السجن او الايداع في مؤسسات احتجازية (المادة 37)
- ✓ الاطفال في حالات الاستغلال الاقتصادي بما في ذلك عمل الاطفال (المادة 32)
- ✓ اساءة استعمال المخدرات (المادة 33)
- ✓ الاستغلال والاعتداء الجنسي (المادة 34)
- ✓ بيع الاطفال والاتجار بهم واختطافهم (المادة 35)

وبالمثل ايضا اصدرت منظمة اليونسيف في 8 ابريل 1996 اول ورقة رسمية تضمنت بموجبها مراجعة لسياسات واستراتيجيات عمل اليونسيف حول حماية الاطفال. حددت بموجبها أوضاع إضافية لحماية الطفولة بعدما تبين ظروف اجتماعية عديدة صعبة ينتج اساءات اكثر فظاعة ومنها:

1) أوضاع العمالة المعيقة، أي أوضاع الاستغلال الاقتصادي حيث ظروف الحاجة تدفع بالاولاد الى العمل في سن مبكرة بعمل مدفوع الاجر يمكن ان يكون ضارا بهم او يمنعهم من الاستمتاع بحقوقهم المكفولة في الصحة والتعليم واوقات الترفيه

2) أوضاع الحروب وأشكال العنف المنظم التي تتم خلالها مثل التنزيح القسري، الفصل غير الطوعي بين الاطفال واسرهم، تجنبيد الاطفال في القوات المسلحة او المليليشات

3) اوضاع الاستغلال الجنسي: بما في ذلك الاتجار بالاشخاص والدعارة والتصوير الاباحي واستخدام الاطفال لاشباع الرغبات الجنسية للكبار

4) اوضاع الاعاقة، بالعمل على تأمين بيئات

صحية سليمة للحؤول دون ولادات
ذات عاهات يمكن اتقاؤها بتحصين الام
والاطفال من خلال الرعاية الطبية المناسبة

في ضوء كل ما سبق نذهب الى ان «سبل حماية الاطفال» هي ذلك المجال الذي يستهدف اوضاع العنف والاستغلال والتمييز والاساءة والاهمال التي يقع الاطفال ضحايا لها او يعيشون في مسارب خطرها بما في ذلك الاوضاع الكلية مثل الاطفال في اوضاع الفقر او الكوارث الطبيعية أو غيرها.

سادسا: طرق العلاج السلوكي لحالات معنفّة

تبين من بعض الاحصائيات المتواترة عن دراسات متفرقة في هذا العالم ما يلي:

- ✓ ان أطفال النساء اللواتي يتعرضن لاعتداء من قبل الشريك اكثر احتمالاً بأن يموتو ا قبل سن الخامسة بخمسة أضعاف الأطفال الآخرين
- ✓ ثلاثة أشكال من العنف تتعرض له الفتيات، هي: ظاهرة ختان البنات، وظاهرة عمالة الأطفال، وظاهرة تزويج الفتيات القاصرات عن طريق تحرير عقود عرفية قصيرة الأمد بهدف الربح المادي
- ✓ بأن نحو خمسة الاف فتاة يقضين سنويا بأسم

الشرف على يد اشقاء او اقارب بتهمة ممارسة الجنس قبل الزواج

- ✓ يعتبر حوالي 27 مليون شخص ضحايا الاتجار ومن ضمنهم 50 % تحت سن الـ18 ووفقا لتقديرات منظمات الامم المتحدة يتم الاتجار بحوالي مليون طفل سنويا لهدف الاستغلال الجنسي عالميا، كما ان مكتب مكافحة المخدرات والجريمة للامم المتحدة قدر الربح السنوي من الاتجار بالاشخاص بحوالي 8 مليار دولار.
- ✓ هناك علاقة بين مؤشرات العنف داخل الاسرة ولجوء الاطفال الى التدخين او تعاطي الكحول (وخاصة عند المراهقين) وذلك بمثابة استراتيجية ممكنة للتغلب على الكدر الناشئ عن خبرة العنف من قبل امهاتهم وتبين ان من (70 %) الى (90

%) من المنحرفين جاؤوا من بيوت مضطربة او اسر مفككة تفتقد الى الحب والدفء ولا تؤمن لافرادها العاطفة والطمانينة والاحترام وان سلوك الجانح له علاقة كبيرة بابتعاد الاهل عن اولادهم خلال سنوات عمرهم الاولى فقد تبين ان ما نسبتهم (63 %) من الجانحين لم يكن نتيجة ابتعاد الام عنهم فقط وانما نتيجة تعاملهن معهم حيث كن عنيفات ومتسلطات

على ضوء هذه المعطيات تنشط الابحاث الاكاديمية للا جابة عن سؤالين مركزين مهمين:

1) ما هي مسببات العنف ومعالمها عند الطفولة؟

2) وما هي المتطلبات اللازمة للحؤول دون حالات عنف متماد على الاطفال.؟

من الدراسات التي تناولت هذه الموضوع نتوقف عند ما بات يعرف اليوم بعلاج التركيز على المشكلة (solution-focused therapy) فهذا العلاج يفترض بأن لكل مشكلة حاصلة حل خاص، وعندما يتم تحليل أي مشكلة بشكل دقيق عبر مراجعة الامور بهدوء يمكن عندها رصد الخلل والعمل عليه، المسألة اشبه ما يعرف في تدريب الفرق الرياضية بتقنية reply the scene الذي يعتمده مدربو الالعاب الرياضية حين يعيدون لقطات اللاعبين المصورة عبر الفيديو ويقوم الجميع بمشاهدتها والتعليق والشرح عليها وابراز الخلل الكامن في الحركة التي حدثت وادت الى مشكلة. وبالسياق ذاته يمكن النظر إلى مشاكلنا اليومية وخلافاتنا مع اطفالنا، فلو تساءلنا :

- ✓ اين عملت الاشياء لصالحنا بشكل افضل؟
- ✓ ما الذي حدث بعدها ولماذا اسيئت الامور وكيف واين ؟

- ✓ ما كان علي ان افعل ؟ هل كان يفترض بي التصرف بشكل افضل لتكون النتيجة حتما بشكل افضل؟
- ✓ والان ماذا لو فعلنا الافضل هل ستاتي النتيجة بأفضل ؟

مثال تطبيقي: عملت اخصائية اجتماعية مع احدى الامهات التي تعاني من عدم طاعة ابنائها لها حتى سبب لها ذلك فقدان سيطرة على اعصابها امام اولادها وكيف انه إزاء تصرفاتها يصبح الاولاد لآمبالين، وحينما سألتها الاخصائية :

- ما هو الشئ المختلف التي فعلته آخر مرة اطاعك فيها الاولاد واظهروا استماعا وانصياعا لك ؟
- وما الذي تفعلينه كل مرة حتى يتصرف الاولاد بشكل اقل اطاعة تجاهك؟

- اجابت الام: اعتقد عندما يدفعوني بعيدا

عنهم بطريقة غريبة،

- وعليه سألت الاخصائية : وكيف حدث ذلك؟
- الام: عندما اكون في غاية الحدة وأقف امامهم هائجة ومنفعلة من مشاغبتهم آخذ في الصراخ حتى ينبح صوتي شيئا فشيئا ..وغالبا ما يحدث مثل هذا الامر عندما اجد نفسي لمّـا أنجز سائر الاعمال في المنزل ويمر الوقت دونما ان استدركه بعمل معين وهذا ما يجعلني في حالة PANIC (وتعني هلع مفاجئ يرافقه اضطراب وتصرفات لآارادية)
- فأردفت الاخصائية تسأل: ومتى يكون الاولاد جيدين بأعتقادك؟
- الام : بالطبع عندما يكونوا هادئين ؟
- الاخصائية : ومتى ايضا؟
- الام: عندما اثني عليهم لانهم ادوا عملا رائعا،

وشاركوني نشاطا ما وتولوا القيام بعمل
جيد فأبتسم لهم !!

تحليل : بدل ان نقع في سوء تقدير او سوء فهم او سوء معاملة مع اولادنا، وحيث عندها لا نحتاج الى علاج نفسي او استشارة اخصائي ينبغي المسارعة الى النظر في الجانب الجيد من الحدث السئ ..وهذا جوهر عمل النظرية الجديدة في علاج المشاكل في ان نبحث عن ما يعرف بـ"bright spot" في المشهد المأساوي او المأزم الذي نمر به، واذا ما احسنا التصرف انطلاقا من بقعة الضوء هذه نكون بذلك قد توصلنا الى حل اهم لغز في استراتاجيات التغيير نحو الافضل وذلك بمجرد مساءلة احدنا لنفسه [16]

What exactly needs to be done differently?

وتطبيقا لهذا المبدأ نتوقف عند حالة بوب ، ذلك التلميذ المشاغب الذي زادت في الاونة الاخيرة نسبة خروجه من الصف بشكل

ملحـوظ بمعـدل 4 الى 5 مـرات يوميـا خـلال سـت حصـص مــن يــوم دراسي عــلى ضــوء ذلــك أرســل الى مكتــب الاخصائيــة الإجتماعيــة ودار الحــوار التــالي :

- الاخصائية: اخبرني بوب عن المرات (او الحالات) التي لا تكون فيها مشاغبا؟
- التلميذ: انا لست مشاغبا .. ولكن قليلا ما اكون كذلك في حصة الانسة سميث
- الاخصائية : وما هو الشئ المختلف الذي تفعله لك الانسة سميث ولا يفعله غيرها؟
- التلميذ : لا اعلم ولكنني اجدها "رائعة"؟
- الاخصائية : وما الذي تفعله الانسة سميث لتكون رائعة برأيك ؟

وهنا اخذ بوب يتحدث عن معلمته الانسة سميث فتبين انها تبذل جهدا جيدا تجاهه كي يكون تلميذا جيدا ، وتثني على

كل تصرف يقوم به وتوليه اهتماما بشكل ملحوظ كما لا يفعل سائر المعلمين، تطلب منه تنفيذ واجبات دراسية سهلة، وعندما تنهي شرح الدروس تتقدم نحوه لتتأكد من انه استوعب وفهم معطيات الشرح. يمكن ان نقول بأن هذه المعلمة كانت بمثابة « بقعة ضوء» لبوب، وعليه بنت الاخصائية خطة عملها بأن تجعل المعلمات الاخريات يعملن ما تعمله الانسة سميث كي يتقين شغب بوب في حصصهن.

هنا لم تتوقف المرشدة عند مساءلة التلميذ : لماذا تشاغب ؟ ما الذي يجعلك منفعلا على الدوام؟ لماذا لا تنتبه في الصف؟ ولماذا تفتعل المشاكل حتى تخرج من صفك؟ لم تبحث عن مصدر غضب وعدم اهتمام بوب بالدرس فكل المعلومات التي لديها تعرفها (true but useless) وانما الهدف الذي كانت تنظر اليه وخلصت اليه كان : ليس تكرار قول ما حدث ولكن تجاوزه الى ما يمكن عمله، ومايمكن عمله هو التالي:

1 . المعلمة سميث انسانة رائعة ، اذن لماذا هي رائعة ومميزة عن غيرها؟!

2. اسلوب المعلمة سميث في التدريس كان سهلا بل طريقة تدريسها محببة حتى جعلت الاولاد لا يجدون مشكلة في استيعابها

وانطلاقا من هذه الاستنتاجات اخذت تبني المرشدة استراتجية عمل جديدة في التدريس كي تجعل التلامذة اقل شغبا واكثر هدوئا قوامها:

I. ضرورة وصول المعلمين الى الصف على الوقت.

II. انجاز كافة معطيات وحدة المادة خلال الفترة المعطاءة للحصة.

III. اظهار التقبل من المعلم في الصف بعيدا عن أي تشنج.

بعد ثلاثة اشهر على هذ الخطة – التجربة انخفضت نسبة

ارسال بوب الى مكتب التوجيه والارشاد نظرا لمشاغبته الى حدود 80 % وبالتالي اخذ يظهر انجازا تلو الانجاز وتحسنت تصرفاته تجاه رفاقه ومعلميه.. قد لا تكون النتيجة – حسبما تعلق الاخصائية – اوصلت بوب الى حالة « التلميذ النموذجي» ولكن يمكن القول انه اصبح افضل بكثير مما كان.

*من الدراسات الحقلية:

في دراسة ميدانية حول تأثير العنف الاعلامي على الاطفال (دراسة بالعينة في منطقتي بعلبك وزحلة) انطلقت الباحثات[(17)] من عدة تساؤلات منها: هل تزداد السلوكيات العنيفة لدى الاطفال كلما ازداد وقت تعرضهم لمشاهد العنف في وسائل الاعلام؟ كيف تظهر هذه التأثيرات على الاطفال؟ لمقاربة الاشكالية على الحقل الميداني عمدن الى اختيار عينة مؤلفة من 613 تلميذا من تلامذة مدارس منطقتي بعلبك وزحلة البقاعتين

/ لبنان بين عمر 12- 15 سنة ، ينتمي هؤلاء الاولاد الى بيئات اجتماعية متنوعة ومستويات اقتصادية متباينة واوضاع ثقافية مختلفة. استخدم خلالها الباحثات طرق استقصائية منها الملاحظة المباشرة والمقابلة الا ان أهمها كانت الاستمارة التي تضمنت اربعة واربعون سؤالا تمحورت حول العناوين التالية :

1) كيف يقضي الطفل اوقات فراغه؟.
2) ما هي اكثر وسائل الاعلام استعمالا لديه؟
3) كيف يعبر عن انفعالاته؟
4) ما هي مصادر معلوماته حول مختلف المواضيع؟
5) نظرة الطفل الى وسائل التي يستخدم وتأثيراتها عليه.

وبالتحليل ظهر ان ما نسبته (89 %) من الأطفال يتجهون نحو الألعاب الإلكترونية في أوقات فراغهم ، يليها التلفزيون بما

نسبته (66 %) فالسينما (60 %) ثم المجلات (32 %) فضلا عن وسائل اخرى مثل الانترنت والهاتف الخليوي بنسب تالية. فهي تعطيهم نوعا من البحث عن الاستقلالية والتسلية والشعور من الاغتباط وكونها اقرب الوسائل للتسلية في معظم الاوقات بسبب تدني الوضع الاقتصادي وعدم توفّر مجالات ترفيه اخرى

وكذلك سئلت العينة المستجوبة بما ان التلفزيون وافلام الكومبيوتر هي الاكثر رغبة ما نوعية البرامج التي تفضلونها؟ فأحتلت برامج الرعب اعلاها نسبة (23 %) يليها افلام الاكشن – البوليسية (17 %) فالعاطفية (16 %) فالرسوم المتحركة بما نسبته (11 %). وظهر ان عامل الجنوسة لعب دورا في التوجه نحو الافلام فالذكور اختاروا مشاهدة الرعب والعنف والافلام البوليسية بينما الفتيات يفضلن الافلام العاطفية وهذا يعود الى عوامل شخصية ونفسية مرتبطة بكل منهما

بعدها انتقلت الباحثات الى محاورة افراد العينة المستجوبة عن

ابرز التصرفات التي يعمدون اليها عند التعبير عن انفعالاتهم؟ فظهر بشكل جلي ان التصرف بعنف احتل اعلى مرتبة (70 %) منهم يسارعون الى الصراخ او التحطيم او الضرب، بينما اعلنت النسب التالية من العينة بأن رد فعلهم عند الانفعال يكون البكاء (6 %) الوحدة (13 %) او ممارسة \هواية (7 %)

واستنتاجا على ذلك توصلت الباحثات إلى افتراضات منها:

- تزايد نسب العنف والعدوانية لدى الاشخاص الذين يتعرضون للعنف في وسائل الاعلام في طفولتهم
- ان وسائل الاعلام هي من العوامل التي تؤدي الى نشر سلوك العنف بين الاطفال
- تسرب كثير من مفاهيم القوة والتسلط والايذاء من برامج الافلام والالعاب العنيفة الى منظومة قيم الاطفال لاستخدامها في

لحظات انفعاله او قهره او توتره.

على ما تقدم نتساءل

- كيف ينبغي ان نتعامل مع أبنائنا؟ ثمة تدابير معينة يمكن أن تطرح للمساعدة على تحسين العلاقة بين الاهل والابناء عبرلعب الاهل دورا هاما في بناء شخصية متينة لدى ابنائهم منها:
  - التدبير الاول : اعتماد نمط سلوكي قويم يستمد منه الطرفين شفافية التصرف،
  - التدبير الثاني: الابتعاد عن الاستهزاء والانتقاد والتهكم « فالتهكمية داء من الصعب مقاومته متى استفحل».
  - التدبير الثالث : قيام الاهل تجاه الابناء بدور الحليف الواثق بنفسه يمنح التشجيع ويتدخل عند الاقتضاء

ويوفر المساعدة على العقبات،

- التدبير الرابع: فرض النظام بجو من الاحترام عند التعامل بين الطرفين يجب ان يقدر الابناء قلق الاهل عليهم وعلى الاهل ان يعوا رغبة الابناء في توجهاتهم.

من بديهيات العمل التربوي تجاه اطفالنا

- ✓ ان نراقبهم دائما
- ✓ وان نتيح لهم فرصة التعرف على ذواتهم،
- ✓ ان ندرك ما يدور في داخلهم ونجيب على تساؤلاتهم المقلقة،

كذلك من اولويات دورنا الرعائي توفير المناخ العائلي الملائم كي ينمو نموا تربويا صحيحا.. وكي يتقرر ذلك تجاه الاولاد يمكن لاحد الشريكين او كليهما القيام بما يلي :

- شجعا اطفالكما عند نجاحهم في اي شئ،لا تستخفان

بقدراتهم بل امنحوهم الثقة.

- اصغيا اليهم حتى يشعروا بمكانتهم واهميتهم لديكم فهم في احتياج دائم لمن يهتمون بهم.
- اظهرا نوعا من الحزم في بعض المواقف كي يتعلموا ان هناك حدودا يجب التوقف عندها
- لا تراوغا او تتواربا عند اجابتكم على بعض اسئلتهم بل ينبغي قول الحقائق بطريقة او بأخرى كي يعي الاولاد ما يدور حولهم ولا ينمو على معارف وهمية،
- احترسا من النقد المستمر – خاصة اذا كان في غير محله – كي لا يفقدوا الثقة بذاتهم.
- قدرا ظروفهم القلقة عند اضطراب ما او مواجهتهم لموقف مخيف، فأنفعالاتهم بالطبع تختلف عن انفعالاتكم الواعية،
- دعوهم يعبروا عما في داخلهم، عما يشعروا به، عن

هواجسهم وحاولا تبديدها بالبحث عن سبب المشكلة وناقشوهم في الحلول وبيّنا لهم بانه يمكن ان يحدث غير ذلك في ظروف اسوأ لذلك اعملا على شد ازره ليعرف كيف يتصرف في حالات مماثلة

- لنعطيهم فرصة اكتشاف القرارت الصحيحة فمن شأن ذلك ان يعمل على تقدير مكانتهم ويعزز دورهم في الحياة عبر بعض التدابير التي منها :

a) لا تسهب- كمربي- في عرض المعطيات التي تبين ان طفلك « غير نافع»، تحفظ بالكلام امامه وامام الناس فيما عليه من « مشاغبات».

b) اجعله موضع تقدير، يمكنك بالانتقاد تحطيمه، بينما المدح يأتي بالعجائب.

c) اوح له بأنه“ ولد رائع“،لان جزء كبير من صورة الذات التي يكونها مستمدة من تلك الصورة التي

تحملها في رأسك عنه.

d) ادرس جيدا نقاط القوة عند الاولاد ثم اختر لهم مهارة تناسب كفاءاتهم بحيث يتمتعون بحظ كبير فيها.

e) علّم الاولاد المنافسة، ساعدهم على ان ينافسوا بما اوتي من امكانات، احرص الا يكون ذلك على حساب: حب الناس ، النزاهة، الصدق، الايمان بالله.

f) افرض قيم الاحترام، فالتخلي التام عن فرض النظام هو طريقة مؤكدة لزعزعة الثقة، والاخلال بالمبادئ قد يؤدي ازدواجية معايير،

g) شجع على التدرج في المسؤوليات المناسبة لعمره، فاتخاذه القرارات المتعلقة به هو خطوة نحو الانضباط الذاتي.

*مثال: حالة طفل شديد العناد، ملحاح وسهل الاستثارة،

*وصف الحالة: انه طارق هو في الثالثة عشرة من العمر عندما حول الى اخصائي العلاج السلوكي، يعيش مع والديه واخت تصغره بخمسة اعوام ، يعمل الاب في شركة تأمين كبرى يتقن بعض اللغات ويهتم بالمطالعة سيما بمجالات علم النفس والطب الوقائي، أمّا الام فهي ربة منزل وتصغر الزوج بـ11عاما وقد وصف الاب علاقته بالام بانها تتسم بتقبل متبادل الا ان هناك – وحسب تعبيره- عدم توافق بالطباع مما يحدث الكثير من المشادات وصلت لحد الانفصال. بدأت مشكلة طارق منذ كان في الخامسة من العمر وبالرغم من انه بدأ المشي والمناغاة باكرا الا ان نموه اللغوي اخذ يتراجع مما جعله يبدأ بالكلام في سن 5 سنوات.. وبعد ان ذكر الوالد سلسلة طويلة من المشكلات التي يعانيها من حالة ابنه، توصل الاخصائي الى تحديد مشكلات الابن على النحو الآتي:

1) يستمر في ترداد كلمات محددة بشكل دائم

ويكثر من تكرار السؤال نفسه حتى وان كرر الاب الإجابة نفسها عدة مرات فالأبن يكرر على مسمع والده مثلاً: «انت معصّب بابا ...أأنت معصّب..» « انت زعلان مني..؟ ويكرر كل عبارة بحسب تقدير الوالد حوالي 30 مرة في المحادثة الواحدة

2) يستجيب للمواقف بأنفعال شديد وغضب وبالرغم من أنه لا يضرب ولا يحطم إلا أنه وعندما يغضب (طارق) يندفع نحو والده يمسك يديه ويعوقه عن الحركة ..

3) يخاف من الحيوانات خاصة القطة

4) يجزع من أي جرح بسيط بالرغم من إنه لم يتعرض لإصابات من قبل

5) تشتت انتباه وعدم تركيز

6) قليل الصبر ومندفع بأفكاره

7) يكره المدرسة

8) يؤذي نفسه بالخربشة والتلاطم

9) يعاني من تبول لآرادي ليلاً

عُرض طارق على قسم الطب النفسي بالمشفى الجامعي ودلت تقارير التشخيص على أن لديه إفراط حركي/ اضطرابات سلوكية/ صعوبات في النطق والكلام / اضطراب في الانتباه والتركيز..إزاء هذه المشكلات كان يُرفض من بعض المدارس العادية والمختصة، لان نسبة ذكائه هي دون الـ50 درجة في حين تشترط بعض المدارس ان يكون فوق ذلك بكثير ..ونتيجة لهذا الواقع بقي الطفل في المنزل دون دراسة ..وباتت تلاحظ عليه مخاوف مرضية شديدة وعدم استقرار وحركة زائدة قد تدفع به او الاهل الى استخدام العنف..

وصف العلاج [(18)]: تمثل الحالة الانفة نموذجا لاستخدام

اسلوب سلوكي ملطف وغير عقابي (لآعنفي) في مجال المشكلات الاجتماعية للطفل، فمن الواضح ان هناك قلقا وتوتراً شديدين عند كليهما (الاب والابن) وسببه وجود درجة عالية من العزوف عن الاتصال الوجداني الإيجابي تجاه الطفل. وأن علاقة التفاعل القائمة بينهما تتسم:

- ✓ بأثارة مشاعر الذنب وتحميل الطفل شعور ضحية بأن ما يعانيه الاب سببه الابن
- ✓ افتقار لغة تواصل بالكلمات المطلوبة (انت عارف انا ليش زعلان منك..)
- ✓ ضغط نفسي ينعكس توتراً على مناخ الأسرة العام طوال الوقت يستجيب له أفرادها بطريقة غير فعالة
- ✓ عدم قدرة الطفل على اظهار الاستجابة الملائمة للمواقف مما يجعل المحيطين في حالة انزعاج

انطلاقا من وجود الطفل في البيت واستمرار التوتر فيه ارتأى

الاخصائي هدف العلاج المباشر والرئيسي باعادة الطفل الى المدرسة باسرع ما يمكن فبقاؤه بالاسرة يشعر الطفل وافرادها بالفشل، وعليه اقترح هذا المعالج:

1) خلق مناخ تفاعلي مطمئن للاسرة

2) تقليل المخاوف الاجتماعية للطفل (لانها السبب الرئيسي بدنو مستوى الذكاء حتى 45 خاصة وانه تبين في مرحلة سابقة حيث لا مخاوف كيف ارتفعت نسبة ذكائه بشكل ملحوظ..)

3) اعطاؤه فرص للنجاح في اداء الاعمال حتى ولو كانت صغيرة داخل الاسرة

النتائج المتوقعة للعلاج:

- توقف عن السلوك المرغوب فيه بنسبة (15 %) في الاسابيع الثلاثة الاولى (انخفاض في معدل تكرار

الكلمات واثارة الاسئلة بشكل دائم)

- تواصل اسري مطمئن بواحد او اكثر مع افراد اسرته ، اي ازدادت نسبة تفاعلاته الاجتماعية داخل الاسرة بنسبة (15 %) من خلال اللعب المشترك/ مبادلة الاحاديث/ وعدم الالتصاق الشديد بالاب او الام.
- تناقص في مخاوفه الاجتماعية وترافق ذلك مع خروجه من المنزل وقضاء الوقت باللعب مع اطفال آخرين لاطول مدة ممكنة

لقد هدف المعالج من رسمه هدف العلاج على اساس العودة السريعة للمدرسة لما يقدمه ذلك من تخلص لمشاعر القلق والتوتر ويضع الاهل امام فرصة التعاون الايجابي نحو التوجهات الفكرية الهامة لتطوير امكانيات طفلهم . ذلك ان علاج اي حالة يبدأ من الاسرة وينتهي اليها من خلال تحسين التفاعل

واستخدام طرق سلوكية هادفة منها:

I. اقامة رابطة وعلاقة مساندة مع الطفل، وتتضمن:

1) مدح الاب والام للطفل برصيد مستمر من الاعجاب في حالة اسهامه بنشاط ايجابي

2) تجاهل السلوك السلبي ما دام لا يوجد خطر ظاهري منه على الاسرة او على الطفل

3) ان يحافظ الابوان على نبرات صوت هادئة ودافئة وتعبيرات وجه ودودة

4) تشجيع افراد الاسرة على التواصل والمحادثة وابداء الود تجاه اخوهم

5) الطلب من الابوين ملء وقت ابنهم بنشاطات متعددة محددة وقصيرة سواء في المنزل عبر تركه يشارك في بعض الامور أو سواءً عبر تسجيله في أندية رياضية مناسبة.

6) عقد لقاء اسري اسبوعي لجميع افراد الاسرة مدته نصف ساعة يلتقي فيها الطفل مع اخوته لتبادل المكآفات

II. استباق مواقف الضغط النفسي ومعالجة الامور قبل حدوثها عبر تشجيع الاسرة على :

1) التمهيد بالحديث معه قبل الدخول في مثل هذه المواقف (أقوم بمكالمة تليفونية وعليك انهاء ما طلبته منك خلال 10 دقائق)

2) ابلاغه مقدما بما سيحدث وبما هو متوقع منه خلال الموقف (نذهب الان بالسيارة وسنعود للمنزل فهل هناك شئ توده قبل ان نبدأ رحلتنا..)

3) اعطائه فرصة للمشاركة في اتخاذ القرارات (سأذهب الى المطبخ لاعداد الطعام هل ترغب

بمساعدتي ام تفضل البقاء على التلفزيون)

III. التعامل مع المشكلات عند ظهورها:

والمعالجة الملطفة للمشكلات غير المرغب فيها

من خلال :

1) تجاهل السلوك السلبي وليس الطفل بحد ذاته

2) تغيير موضوع التفاعل اذا كان مؤثرا وتوجيه الانتباه نحو نشاط آخر

3) تدعيم ومكافأة اذا نجح اسلوب تغيير الموضوع واندمج في اي نشاط بديل

4) المحافظة على لغة تواصل متسمة بالود

سابعا: عرض حالات

الحالة الاولى:

تعتبر يولا واحدة من امهات كثيرات منفصلات عن ازواجهن، فهي تعيش مع اولادها الثلاثة: بول (8 سنوات) ميلين (5 سنوات) جيسيكا (سنتان ونصف) حين تركها زوجها كانت جيسيكا في عمر السنة كذلك فعل عندما تركها زوجها الاول وترك معها ابنيها الاخرين ليذهب مع أمراة اخرى، وهكذا اخذت يولا تتولى رعاية اولادها الثلاثة في ظروف صعبة خاصة بعدما تعرضت لظروف قهر وتعنيف من قبل زوجها الاخير لتقضي لها المحكمة الانتقال الى « دور حضانة مؤقتة» ريثما يتم تأمين منزل خاص بهم ..بعد ثمانية اشهر خرجت الى منزل خاص بعيدا عن بيئتها الاولى وبعيدا عن الاصحاب والجيران ومعارفها حيث

كانت تعيش.. تبدو يولا سيدة صغيرة ذات مستوى تعليمي متدن، وادارة المدرسة المحلية قلقة من عدم قدرة الام على متابعة الاولاد تربويا بما يضمن لهم نتائج مدرسية متقدمة، خاصة بعدما اخذت المعلمات والمشرفات يلاحظن تأخر جيسيكا في النطق ، وبطئها في المحادثة، وبحاجة الى عناية عاطفية اكثر كي تخرج من حالة التعلثم والخجل التي لديها.. بعد مرور ثلاثة اشهر حيث سكنها الجديد بدأ الجيران يلاحظون خروج الام مساء نهاية كل اسبوع ولا تعود الا في ساعات متأخرة من الليل تاركة اولادها دون مراقب او معتن (unattended) وعليه وصل الخبر الى السلطة المحلية (البلدية) وعرضت الموضوع على الاخصائية الاجتماعية..ولنفرض انك واحدة منهن ماذا تقترحين إزاء هذه المشكلة؟

1) هل يمكن افتراض هذه الحالة بمثابة اساءة لوجود اطفال ويفترض التدخل لتأمين

احتياجات خاصة لهم، ام يُفترض التوجه نحو الاسرة والقيام بخدمات دعم.

2) بغض النظر عما تحتاجه الاسرة من يُفترض ان يتشارك لحل هذه المشكلة ولماذا؟

3) اذا افترضنا انه يجب ان يتدخل اكثر من طرف / جهة معينة كيف يمكن لهذه الجهات المتعددة ان تنسق فيما بينها من اجل تأمين حماية لآزمة للاطفال؟.

الحالة الثانية:

تعيش جيسي (22 عاماً) وطوم (28 عاماً) في شقة متواضعة بأحدى أحياء العاصمة حيث هما من منطقة ريفية نائية الا انهما انتقلا الى حيث يسكنان منذ اربعة سنوات ومع وصولهما ولدت جين (3 سنوات و10 اشهر) وخلال

فترة اقامتهم الجديدة لم يستطعا اقامة علاقات جيدة او اي
تعارف مع الجيران وابناء المجتمع المحلي حيث انتقلا...
لهذا يبقيان اغلب الوقت بمفردهما في منزلهما المتواضع
..توم نزح الى هذه المدينة بداعي فرصة عمل ولكن
بعد وقت قصير من مباشرته بها اعلنت الشركة افلاسها
واستغنت عن معظم عمالها وبات عاطلا عن العمل..
مع مرور الوقت بدأت العائلة تقلق على مصاريفها
وكيفية تأمينها سيما وان جيسي حامل في الشهر السادس
ويرغبان بأنجابه رغم ظروفهم الاقتصادية الصعبة وزاد
من الامر سوءاً هو عدم تعارفهما مع قاطنين آخرين
في الجوار فضلا عن ان طوم ليس اجتماعيا بطبعه
وعلاقاته بعائلته واخوته ليست بجيدة ونادرا ما
يتواصل واياهم . اثناء زيارة طبيب الصحة العامة في
جولته الدورية على مساكن الاحياء الفقيرة نبّهما الى ان
صحة الابنة ليست على ما يرام لناحية نموها الطبيعي

بالنسبة لعمرها بسبب سوء التغذية وظروف المسكن غير الصحية وتجلى ذلك في انتقاص بالوزن والطول (حيث 97 % من الاطفال في مثل عمرها يجب ان يكونوا افضل وزنا وطولا هي اقل ب 3rd centime عما هو طبيعي. ومتوقع) على الفور أرجعت جيسي السبب الى ان الابنة لا تأكل جيدا بينما الاب بدا غاضبا وتوجه نحو الطبيب بحدة قول: "هل تحاول ان تقول لي بأنني اميت اولادي جوعا.." خرج عندها الطبيب ولكن بقي على تواصل مع جيسي وابنتها شرط ان تأتي هي لعيادته دون الزوج.

بمرور الايام المزرية على العائلة بدأت مظاهر الاهمال والفوضى تسود المنزل : من الثياب المشلوحة على الارض وفي كل مكان/ الى فتور بعلاقة الود بين الزوجين/ الى تناثر بقايا الطعام في ارجاء المنزل / الى التقاعس بمسائل النظافة حتى اخذت تنبعث من المنزل روائح كريهة يشتمها بمجرد

ان يدخله احدهم. وهكذا اخذ وضع العائلة يتدهور يوما بعد يوم مما دفع بأحد الجيران الى تقديم شكوى الى البلدية للنظر في حالة هذه العائلة ومسكنها " المغلق على نفسه" خاصة بعدما اخذ الجيران يلاحظون الاوساخ المتناثرة.. واخذوا يتخوفون من وضع هذا البيت "المشبوه" من ان يؤدي حال تعاستهم وفوضيتهم لآحقا الى حالات عنف او اجرام.. على الفور ارسلت البلدية مندوباً واطلع على الوضع وألزم الاب والام بضرورة القيام بالتصليحات اللازمة. أستجابت العائلة لمتطلبات المندوب ولكن سرعان ما عاد الامر الى كان عليه من قبل.

ومما زاد الامر سوءأ هو تدهور العلاقة بين الزوجين حيث اخذ كل منهما يحسس الاخر بمسؤوليته عن ما حدث حتى ان طوم كان يخرج من البيت لساعات طويلة دون ان يفكر او يهتم او يسأل عن اوضاع الام والطفلة والرضيعة ..لينعكس ذلك كله على وضع الطفلين اللذين بات يلاحظ عليهما تأثر صحي

ونفسي وسوء تصرف من الابنة الكبرى (جين) حيث اخذت المشرفة التربوية تلاحظ انطوائها،/ عدم رغبتها المشاركة في النشاطات/ تأتي الى المدرسة بثياب وسخة/ تنبعث منها رائحة غير محبذة/ ومجرد ان تصل تسأل عن اي شئ لتأكله..واستكمالا لهذه الوقائع تجمعت معطيات اخرى لتدل على سوء الحال عن هذ الاسرة:

- الطبيب في آخر زيارة له اشار بأن وضع الطفلين ليس على ما يرام ابدا
- المدرسة اخذت تنبه الى انعكاس مشاكل الاسرة على وضع الابنة وصحتها البدنية والذهنية
- الجيرة عاودت شكواها من تصرفات الاهل.

على ضوء ذلك طُلب الى اخصائية اجتماعية متابعة الحالة..ماذا تتوقع ان تفعل هذه الاخصائية ؟ وماذا تعتقد ينبغي ان تقوم به السلطات المحلية ازاء وضع هذه الاسرة المتدهور.

الحالة الثالثة

لبنى فتاة في الرابعة عشر من العمر تدرس في السنة الثالثة من التعليم المتوسط، هي اخت لستة ذكور اقل منها سناً، لذلك تساعد امها في شؤون البيت وخدمة اخواتها، تحب لبنى الدراسة والرسم التشكيلي، كانت مميزة في النجاح خلال مراحل الدراسة السابقة ولكن مؤخرا بدأ يلاحظ عليها تراجعا من حيث التحصيل والنجاحات .. وسبب ذلك انها بدأت تعيش يوميا احداثا مؤثرة تصنعها علاقة والدها بأمها التي تعمل في احدى المصارف اما والدها فقد توقف عن العمل كموظف واصبح ملازما البيت بعد اصابته بمرض مزمن (chronic) ومتطور (evolutive) مما جعله لا ينفّس عن قهره الا عن طريق السلوك العنيف مع زوجته، ففي بعض الاحيان تنتابه حالة من القلق والملل والتوتر فيعلو صراخه في البيت لأتفه الاسباب، الامر الذي يدفع بالزوجة الى ان تطلب منه مغادرة المنزل بعض

الوقت عسى ان يهدأ باله، لكنه يستجيب بسلوكات عنيفة او ينهال عليها بالضرب بحجة انه حر في بيته كما يأخذ بشتمها امام اولاده بأقذع النعوت ويتوجه اليها بالنقد حول كل ما تقوم به سواء في مجال الغسيل او الطهي او تربية الابناء....في ظل هذه الاجواء المتوترة اصبحت لبنى لا تطيق العودة الى المنزل بعد الانتهاء من الدراسة لكنها لا تزال متمسكة بكل قواها بها وتعتبر نجاهها هو الامل الوحيد للخروج من ازمتها وكلما تأزمت الامور اكثر يذوي لدى لبنى هذا الامل لتراودها فكرة الانتحار الذي ربما سيعطيها الراحة الابدية. لكن عندما تتذكر اخوتها الصغار الذين هم بحاجة ماسة الى حبها ومساعدتها تنفجر في البكاء طويلا وهي تجوب الشوارع وعند رجوعها الى البيت المهدد بالسقوط ترتسم على وجوه اخوتها الصغار الفرحة ويبتهجون لعودتها فتنتسى همومها وفكرة الانتحار..

اصبحت لبنى تكره الرجال وارتسمت في ذهنها وخيالها

صورة للزواج على انه ذلك القفص المؤلم بل ذهب بها الامر حدا من التفكير العدواني عندما تشير : انه في كل مرة تشاهد اباها يقوم بضرب امها واهانتها امام اخوتها تخطر ببالها فكرة قتله حتى يتسنى لأسرتها العيش في امآن وراحة.

ورغم ان لبنى كانت متفوقة في الدراسة بدأ يلاحظ عليها اخيرا تعبيرات وجه تشير الى الشعور بالحزن، ونبرات صوت تدل على نقص للثقة بالذات، وفي الوقت الذي يأخذ زميلاتها باللعب والجري والضحك تفضل الانزواء في مكان بعيد. حاولت المعلمة في المدرسة التدخل لمساعدة لبنى عبر استدعاء الاب والتحدث الى الام الا ان الامور لم تحل دون استمرار الجو العائلي المضطرب الذي انعكس بدوره على حالة لبنى وضاعف من مشاكلها النفسية والدراسية.

الهوامش:

1. AN INTRODUCTION TO WORKING WITH CHILDREN, MATTHEW COLOTON, ROBERT SANDERS & MARGERT WILLIMMS, PALGRAVE, LONDON. 2005
2. كيف نحمي اطفالنا من الاساءة،(حلقة نقاش) تنظيم المركز شبه الاقليمي للطفولة والامومة ، الكويت 16-14 مايو، 2005
3. AN INTRODUCTION TO WORKING WITH CHILDREN, MATTHEW COLOTON, ROBERT SANDERS & MARGERT WILLIMMS, PALGRAVE, LONDON. 2005
4. انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005
5. وهن اليانا اصلان، مشيرة عساف ونادين حداد في رسالة بحث بعنوان : واقع النزاعات المسلحة وأثارها على الاطفال (منطقة بعلبك نموذجا) اعدت لنيل شهادة الاجازة في الاشراف الصحي – الاجتماعي ، الجامعة اللبنانية، كلية الصحة العامة، زحلة 2011
6. عن رسالة بحث: واقع النزاعات المسلحة وأثارها على الاطفال، المرجع نفسه
7. واقع النزاعات المسلحة وأثارها على الاطفال، المرجع نفسه
8. عنف الرجل ضد المرأة وانعاكاسه على سلوك الاطفال- مقالة، د.انيسة

بريغت عسوس ، مجلة اضافات، العددان الثالث والرابع صيف وخريف 2008:

ديانا هيلز وروبرت هيلز ، العناية بالعقل والنفس، تعريب عبد العلي الجسماني، الدار العربية للعلوم، بيروت ، 1998

9. AN INTRODUCTION TO WORKING WITH CHILDREN, MATTHEW COLOTON, ROBERT SANDERS & MARGERT WILLIMMS, PALGRAVE, LONDON. 2005

10. انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005

11. البغي بين الضحية والمجرمة : واقع البغاء في لبنان، رسالة اعدت لنيل شهادة الاجازة في قسم الاشراف الصحي الاجتماعي ، سنا حديب وآخريات الجامعة اللبنانية ، كلية الصحة العامة، صيدا، 2010

12. د. مأمون طربيه، علم الاجتماع في الحياة اليومية، دار المعرفة بيروت, 2010.

31. ديانا هيلز وروبرت هيلز ، العناية بالعقل والنفس، تعريب عبد العلي الجسماني، الدار العربية للعلوم، بيروت ، 1998

(*) ومن الامثلة على هذا النوع من الالعاب ما يقوم به الاطفال على الكومبيوتر من العاب مثل : لعبة دم وشرف وتصاحبها واجهة حمراء مليئة بالدم عندما، يريد اللاعب الخروج/ ولعبة اخرى تحت اسم : الكهف وتتلخص عن مغامرة لانقاذ رجال في كهوف من الهياكل العظمية، للوهلة يعتقد اللاعب انها مهمة انقاذ ولكن سرعان ما يشاهد مناظر مفزعة وموت وقتل من هياكل عظمية ترتمي على الارض ويتدفق منها الدم بشكل لزج.. وهناك ما يعرف بالعاب صراع البقاء. التي تتناول حروبا بالطائرات والمركبات الفضائية او الاليات العسكرية الافتراضية

في خطط قتال تدمير متكرر)

14. د. مصطفى حجازي، الانسان المهدور(دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) المركز الثقافي العربي/ بيروت 2006

15. Get anyone to do antthing, david lieberman, st.martin's criffin,new York,2000

16. How to change things: SWITCH., chip & dan heath, random house business books,newyork, 2010

17. تأثير العنف الاعلامي على الاطفال، نموذج منطقتي بعلبك وزحلة/ رويدا قاسم وفاطمة ناصر الدين، رسالة بحث اعدت لنيل اجازة في الاشراف الصحي والاجتماعي ، كلية الصحة العامة، زحلة، 2007

18. د.عبد الستار ابراهيم وآخرون، العلاج السلوكي للطفل : اساليبه ونماذج من حالاته ، من سلسلة عالم المعرفة (العدد 180)، الكويت، ديسمبر 1993